وزارة التعليم العالي
الملحقية الثقافية السعودية في فرنسا

فكر

إدغار موران

# نحو سياسة حضارية

ترجمة
أحمد العلمي

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الفرنسي

**Pour Une Politique De Civilisation**

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر

arléa

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

# نحو سياسة حضارية


تأليف

إدغار موران

ترجمة

أحمد العلمي



وزارة التعليم العالي

الملحقية الثقافية السعودية في فرنسا

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بسم الله الرحمن الرحيم


**الطبعة الأولى**

**1431 هـ - 2010 م**

**ردمك 978-9953-87-800-3**





**وزارة التعليم العالي - المملكة العربية السعودية**

**الملحقية الثقافية السعودية في فرنسا**

54. Avenue Hoche - 5 éme étage

Paris 75008 France

Tel (+33) 1 56 60 50 00 - Fax (+33) 1 56 60 55 27

**الدار العربية للعلوم ناشرون**
**Arab Scientific Publishers, Inc.**

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (+961-1)

ص. ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: bachar@asp. com. lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www. asp. com. lb





لتنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (+9611)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (+9611)

# المحتويـــات

# مقدمة

يشكل هذا النص فصلاً مقتطفاً من كتاب نشر سنة 1997 تحت عنوان: **سياسة الحضارة**. وقد تم تأليف هذا الكتاب بمشاركة السيد سامي نايير والذي تقاسم معي تحرير فصول هذا الكتاب.

وهذا النص يمكن فصله عن باقي الفصول لأنه يناسب نواةً من مشاكل قد سبق التفكير فيها بشكل مستقل في إطار مقال.

وهو مقال يعالج مشاكل نشعر بها في التجربة اليومية، والتي تتعلق بمعاشنا الملموس حيث يتعلق الأمر بقصور وعجز حضارتنا، ومن هنا يتعلق الأمر بحاجاتنا وآمالنا، التي لم تعد فقط حاجات مالية.

وإجمالاً، يتعلق الأمر بإعادة إحياء الحياة الاجتماعية والحياة السياسية والحياة الفردية بشكل متكامل.

تتشكل في البوادي وفي الأحياء وتقريباً في كل مكان من البلد العديد من الحركات الداعية إلى بعث الحياة الاجتماعية، لكنها حركات تظل معزولة ومتفرقة.

من هنا جاءت فكرتنا القائلة بأن إعادة إحياء الحياة الاجتماعية والحياة اليومية، ينبغي عليها أن تدخل في إطار سياسة في الوقت ذاته الذي على السياسة أن تدخل في عملية إعادة الإحياء هذه.

إننا نرى جيداً كيف أن الأيكولوجيا، التي كانت تبدو خارج السياسة، دخلت، خلال عقدين أو ثلاثة عقود، العالم السياسي وأنها بدأت تغيره، وإن كان ذلك بشكل غير كاف. وكذلك، فالعديد من المشاكل - مثل القلق والضيق وعدم الرضى -، التي كانت تبدو أنها

تعود فقط إلى الحياة الفردية، أصبح من الضروري إدخالها في السياسة، دون أن تتوقف عن كونها مشاكل فردية، لكن بتجنيد أفراد - مواطنين من أجل معالجتها.

إن إضفاء الطابع الحضاري على الجانب المتوحش في حضارتنا، هو الطموح الأساسي الذي كانت تطمح إليه الجمهورية والنظام الاشتراكي؛ إلا أن المشكل أصبح يطرح بحدود جديدة لا لأنه اغتنى بتجارب فشل الشيوعية وعيوب الاشتراكية - الديمقراطية فحسب، بل لأنه أصبح يطرح في ظل شروط جديدة متمثلة في أزمة عميقة للحضارة.

من هنا تظهر الحاجة إلى هذا الكتاب، الذي لا يقترح برنامجاً، أو مشروعَ مجتمع، وإنما يحدد طريقاً.

إن هذا النص الذي فصلناه عن الكتاب هو في الوقت ذاته لا يقبل الانفصال، إن أراد أن يكتسبَ معنًى، عن إصلاح ثقافي وعن إعادة تأسيس سياسية.

الإصلاح الثقافي: إن أذهاننا تشكلت حسب تصور يفصل المعارف، ويعزل الواحدة عن الأخرى وذلك بتقسيمها، مع تفضيل المعرفة القائمة على الحساب - التي تجهل ما لا يقبل أن يكون موضوع حساب، أي الحياة، والعذاب، والحب، والسعادة، والتعاسة - ويضع السياسة في تبعية للحساب الاقتصادي. إننا نعيش في حضن ثقافة تجزئ المشاكل، بحيث إنه من المستحيل تصور المشاكل الأساسية والمشاكل الشمولية.

إعادة بناء السياسة: يتعلق الأمر بتأسيس «سياسة إنسانية» وسياسة كوكبية؛ وقد أدليت بآرائي في هذا الموضوع خصوصاً في كتاب **مقدمة لسياسة الإنسان**، **الأرض الوطن**، وفي الفصل الأول من كتاب سياسة الحضارة: «في البحث عن الأسس الضائعة».

إن نظاماً لا ينطوي على وسائل لمعالجة مشاكله، هو مجتمع محكوم عليه إما بالتقهقر، بل بالموت، وإما بالتغير، وذلك بتجاوز ذاته. فبرفضنا للتقهقر، وبمقاومتنا للموت، لنعمل على تحقيق التغير.

# تحديات هائلة

إن نمـــو حضارتنا يهدد أسسها. ما دامت الحضارة تحدَّد بمجموع مكوناهما المادية والتقنية والمعرفية والعلمية، فقد أصبح من الصعب فهم عجـــزها وانحـــرافاهما، لا سيما وأننا نعرف أن الرفاهية ورغد العيش، وارتفـــاع مستوى العيش، وتزايد طول الحياة، والحمايات الاجتماعية، وتطـــور الصحة، وحريات الحياة الخاصة وأوقات فراغها، والحمامات، والثلاجات، والهواتف، والتلفزة، والقطارات السريعة، والطائرات كل هـــذا يشكل النجاحات التي حققتها حضارتنا، والتي تطمح إليها الأمم التي لا تمتلكها.

إنـــنا نرى جماعات تم إقصاؤها، وضواحي فاسدة، وغيتوهات، ودور الـــصفيح، ومـــناطق يـــنعدم فيها الأمن في مدننا الأكثر تحديثاً، وأصـــبحنا نـــرى انطلاقـــاً من الآن عاطلين، لكننا نعتقد أهم ليسوا مهمـــشين إلا بـــشكل ظرفي؛ ونعتقد أن حضارتنا بإمكاهما إدماجهم تدريجـــياً، ولا نتصور أهم يتحملون بشكل حاد نتائج حضارتنا. وعلى كل حال، فإن كل حضارة تحمل في ذاهما مناطق هامشية من الفوضى، أو سراديب من العنف، أو الجنحة أو الجريمة، ويمكن الاعتقاد أن الأمر يـــتعلق بظاهـــرة سوسيولوجية ذات خصائص عامة، لا بمشكل يخص حضارتنا البوليسية والمتمدنة. لكن أصواتاً ناشزة لم تتوقف، خلال مدة نمـــو حداثتنا، عن التنديد بآثارها السلبية. يتعلق الأمر أولاً بالرجعيين، الـــذين كانوا ينددِّون بتفكك التقاليد، والنظام، والتراتب الموروث عن الماضـــي. ثم كـــان هـــناك أولئك الذين يعاينون في ذات الوقت، مثل

مـــاركس، تحطيم القيم الجماعية، والعلاقات بين الأفراد، وتحويل قوة العمل إلى بضاعة، وتدفق الاستغلال الرأسمالي، لكنهم في مقابل ذلك، اكتـــشفوا في هـــذا التدفق شرط قيام ثورة بروليتارية ستلغي استغلال الإنسان للإنسان. يلتحق ماركس في حقيقة الأمر بمادحي التقدم، الذين يعتـــبرون أن العلم، والتقنية والصناعة تحمل في نموها ذاته أمل الازدهار الإنساني.

إن النظـــرة المعقـــدة للظواهر لا يمكنها أن تخفي جسامة المشاكل والأخطـــار الـــتي تولدت عن حضارتنا. إن تقدم العلوم، والتقنيات، والاقتـــصاد، والتحـــضر، والبيروقراطية بل وحتى الفردانية، الذي كان يـــبدو في ذات الـــوقت أحد محركات التقدم التاريخي المعمم ونتائجه، أظهر في كل مكان تناقض مفعولاته وآثاره.

لقد أصبحت الحلول مشاكل في هذا العالم الذي يسمَّى متقدماً؛ وستغدو كذلك في باقي دول العالم، وستزيد المشاكل العالمية خطورة.

ربمـــا أننا تخطينا، من دون علم، العتبات التي تصبح فيما وراءها المنـــتوجات الثانوية المشؤومة المتولدة من السيرورات النافعة منتوجات أساســـية[1]. بإمكاننا افتراض أن توسع المدن الكبرى والتصنيع لا يمكنه أن يكون لا محدوداً، وأنه إذا لم يتم تهدئة السيرورات أو لم يتم تغييرها، فإنها ستقود إلى كوارث لا راد لها. من هنا يبدو من الضروري استبدال الكم بالجودة.

# أمراض الحضارة

إن ارتفــاع مستوى المعيشة، في حضن الحضارة الغربية، أفسده انخفاض جودة المعيشة.

إن الشعور بالقلق يتسلل إلى رغد العيش.

والمشكل الجوهري يُطرَحُ إذن من قبل ومن أجل ما كان يبدو من واجبه تحقيق التقدم المعمم والحتمي للحضارة. وفيما وراء القلق الــذي تُبلوِر فيه، حسب فرويد، كل حضارة خميرة انهيارها الذاتي، فــإن علامـــات خاصـــة بحضارتها قد ظهرت، معمِّقة قلقاً جديداً للحـــضارة.لنحاول أن نرى كيف أن اقتران التنمية الحضرية، والتقنية، والمكتبية، والصناعية، والرأسمالية، والفردانية ينخر من الداخل الحضارة الـــتي أنتجها هذا الاقتران ذاته وعمل على ازدهارها؛ كيف نما، بشكل ما، نقيض الحسنات التي ما زلنا نتمتع بها.

إن أمـــراض حـــضارتنا هي الأمراض التي أظهرت بالفعل عكس أهـــداف الفردانية، والتقنوية، وعكس غايات عملية تحويل الأشياء إلى نقود، وعكس التنمية، ورغد العيش.

وهكـــذا **فالتقنـــية** هـــي ما يسمح للبشر بإخضاع الطاقات الطبيعـــية. لكنها أيضاً هي ما يسمح بإخضاع البشر لمنطق حتمي، وميكانيكي، ومتخصص، وكرونوميتري للآلة الصناعية. إنها تفرض، في قطاعات من الحياة الإنسانية يزداد اتساعها، منطقَ الآلة الصناعية، وتُحِـــلُّ الـــتعايش المجهول مَحَلَّ تواصل شخص مع شخص آخر. إن منطق الآلة الصناعية في الشركات، والمكاتب، وفي الحياة المدنية،

وفي أوقات الفراغ يفرض معايير مُقَعَّدة ولا شخصية تضر بمبدأ المؤانسة.

وازدهار التقنيات الجديدة، وبالخصوص تقنيات المعلوميات، يحدث اضطرابات اقتصادية وبطالة، في حين بإمكانه أن يصبح محرراً، شريطة إقران الطفرة التقنية بطفرة اجتماعية. إن منطق الآلة الصناعية، التي ألغت سلفاً بوّابي العمارات، ورقباء الحي، ومأموري محطات القطار، والقطارات، وقطارات الأنفاق، ومحطات الأداء في الطرق السيارة، وفي مرافئ السيارات، تميل إلى جعل الحياة الاجتماعية آلة أوتوماتيكية ضخمة.

والتنمية **الصناعية** أفضت إلى ارتفاع مستوى العيش بإنتاج كثيف، وبأثمان مناسبة أكثر فأكثر، لمنتجات الاستعمال والاستهلاك. لكن هذا النمو الذي كان يبدو في نهاية القرن الماضي عبارة عن نموٍ، أصبح يُعَرِّضُ المجتمعات والكائنات البشرية لخطرين: الخطر الأول، وهو خارجي، ينتج عن التدهور البيئي لأوساط الحياة؛ والخطر الثاني، وهو داخلي، يترتب على تدهور جودة الحياة. وفوق ذلك، فالسباق نحو النمو في الإطار الموسع للاقتصاد المعَوْلِم يتحقق بالتضحية بكل ما لا يخضع لمنطق المنافسة.

كانت التنمية الرأسمالية سبب نمو الإنتاج، والتبادلات، والتواصلات، لكنها كانت أيضاً سبب تحويل كل شيء إلى بضاعة، بما في ذلك المساعدات، والتضامنات، والخيرات المشتركة غير النقدية، مهدمة بهذا الشكل العديد من أنسجة المؤانسة. إن السوق يولي في كل المناسبات أفضلية لحساب المصلحة ويفكك عرى التضامن كذلك. إن النتائج العكسية لعملية تحويل الأشياء إلى نقود، هي ضرورة توفر مقادير متنامية من المال من أجل البقاء،

وتقلص نصيب الخدمة المجانية، والهبة، أي نصيب الصداقة والأخوة.

إن النمو الاقتصادي ونمو الدول أحدث وساعد على تشكل آلات تقنية بيروقراطية هائلة هيمنت وسحقت، من جهة، كل ما هو فردي، ومتميز، وملموس، وأنتجت، من جهة أخرى، قيم اللامسؤولية. وتمثل قضية الدم الملوث(1) حالة نموذجية حيث اقترن قصور هيئة تقنية - بيروقراطية - علمية بسيئاتها، وفوق ذلك أصبح الدم هنا بضاعة خاضعة لمبدأ المردود الاقتصادية.

ولم يحدثِ التطور الحضري انشراحات الأفراد، والحريات وأوقات الفراغ فحسب، بل أدى كذلك إلى فقدان التضامنات القديمة كما أحدث عبوديات مترتبة على إكراه تنظيمي جاثم على الحياة اليومية (الميترو - العمل - النوم)،وأصبح الحي، وهو الوحدة العضوية للمواطنين، هو المدينة، أي وسطاً للحياة بالنسبة لسكان المدن، وأصبحت المدينة حاضرة كبيرة، أي مجموعة عديمة الشكل لجموع من السكان.

يتفكك النسيج الحضري، وتتكبد المدينة بشكل متزايد أضرار تلاشي الهويات. وتتسع رقعة المدن - المكاتب، والضواحي التي هي عبارة عن مراقد(2)، على حساب الأحياء. وعوض خلق فضاءات (حانات، ودكاكين صغيرة، وحدائق) يلتقي فيها المواطنون، يتم بناء معابر مرور لمستعملي [السيارات وميترو الأنفاق، ... إلخ]. وبعد

(1) قضية الدم الملوث، قضية أثارها صحفي عندما اكتشف أن المركز الوطني لتحاقن الدم بفرنسا استعمل عن قصد دماً ملوثاً بفيروس فقدان المناعة بين سنة 1984-1985 لعلاج أطفال مصابين بمرض فقر الدم، مما أدى إلى إصابتهم بالفيروس. ونقلت القضية إلى المحكمة في جو إعلامي مشحون حيث اتهم بعض الوزراء، لكن القضاء برأهم سنة 2003. (المترجم)

(2) أي تستعمل للنوم فقط. (المترجم)

اختفاء النافورات، والمغاسل، والخيول، حدث ذبول الأحياء، كما حدث تقسيم داخل المجموعات [السكنية] الكبرى، وحل التسارع، والضغط. واختفى البوابون، ليتم تعويضهم، في العمارات، بحراس فقط. وعوَّض **الحرَّاسُ البوابين**. واختفت بشكل تدريجي الدكاكين الصغيرة القريبة من المواطنين، ولم ينقذها في باريس هنا وهناك إلا المهاجرين من أصول شمالية إفريقية. وقلصت تجارة المجمَّدات، والمتاجر الكبرى، بالإضافة إلى برامج البيع عبر التلفاز، فرصَ التبادل في الأزقّة التي يكثر فيها البيع والشراء وحطمت علاقات الثقة بين المُمَونين والزبائن، وكما تلاشت الثرثرة التي تملأ الأحياء وانقرض الفضوليون. ويقول ميشال دي سابلي[1]: «إن الماهية الجماعية للمدينة هي في طريق الانمحاء من الفكر الإنساني وحساسيته»[2]. وإلى هذا يضاف الاختناق الذي تخلقه حركة سير السيارات التي تساهم هي ذاتها في تقليص التآلف بين الناس، وفي جعل النفوس والرئات في حالة هيجان. فالفردانية هي في الآن ذاته علة ونتيجة للاستقلاليات، والحريات والمسؤوليات الفردية، لكن من نتائجها السلبية تراجع العلاقات التضامنية القديمة، وتشرذم الأشخاص، وضعف الحس بالمسؤولية نحو الغير، وتنامي الشعور بالأنانية والميل المتزايد لما سُمِّيَ **بانبثاث الأنا**.

ويتحدث ليفين[3] عن **تفكك** العلاقة بين الأسرة والمدرسة، بين الآباء والأبناء (فبعد الفترة التي يكون فيها الرضيع في حضن أمه، يوضع في دور الحضانة)، ويتحدث كذلك عن تفكك العلاقة بين المعارف، وفقدان الحوار مع الذات، وفتح أختام اللاشعور، والانفصال بين **الأنا**

(1) Michel de Sablet.

(2) هامش لإدغار موران Des Espaces urbains, Le Moniteurs, Paris, 1991.

(3) ليفين، Levine Marc، مهندس معماري معاصر. (المترجم)

**الأعلـــى والأنا والهو**. هناك أزمة أساسية بين الفرد ومجتمعه، بين الفرد وأسرته، بين الفرد وذاته.

تفككـــت الأسرة الكبيرة لفائدة أسرة **صغيرة** مكونة من زوجين وطفل أو طفلين، وتفتتت أواصر التضامن الموجودة في القرية أو الجوار، وتـــراجعت بشكل كبير التضامنات الجهوية، والتضامن الوطني، الذي كـــان دائماً في حاجة إلى خطر حيوي لعدو «وراثي»، أصبح مُنَوّماً، والـــوقاية المتبادلة بين الأفراد أسندت لإدارات وطنية، مُعفيَةً بذلك كلّ فرد من كل مسؤولية أو مبادرة.

إلا أن تفكـــك التـــضامنات التقليدية لم يولد مع ذلك تضامنات جديدة ما عدا التضامنات البيروقراطية. صحيح أن الدولة تتحمل أكثر فأكثـــر أعـــباء وظائـــف التضامن، لكن ذلك يتم بشكل مجهول ولا شخصي، ومتأخر. لقد أصبحت الدولة، حسب عبارة أكتافيو باث[1]، (غـــولاً محـــباً للإنسانية). فالدولة المساعدة أصبحت ضرورية بشكل متـــزايد وهي تساهم في تقهقر التضامنات الملموسة، من دون أن تحل مشاكل ملحة أكثر فأكثر وهي مشاكل متعلقة بالتضامن الاجتماعي.

حقيقة أن شَرْنقة الأسرة الصغيرة تميل نحو الانغلاق بشكل يمكنها من حماية أعضائها، لكنها كذلك في أزمة نظراً لهشاشة الزواج، وتيهان العلاقـــات العاطفـــية. ونتـــيجة لذلك تتزايد العزلة وتتفاحش في كل طبقات المجتمع، وهي عزلة شديدة الوقع عندما تخص الطبقات الفقيرة.

---

(1) أوكتافـــيو باز Octavio Paz شاعر وكاتب مكسيكي ولد سنة 1914 وتوفي سنة 1998، حاز على جائزة نوبل في الآداب سنة 1990 من أعماله الشعرية:

* 1957-Piedra de sol (Pierre de soleil)
* 1958-*Libertad bajo palabra* (Liberté sur parole)
* 1962-*Salamandra*
* 1969-*Ladera Este* (Versant Est)



# قلق العيش الرغيد

وكــذلك يتنامــى القلق بمعية العيش الرغيد. لقد تزايدت القدرة الــشرائية، كما نبّهَ إلى ذلك فيليب سانت مارك[1]، بثلاثة أضعاف من سنة 1960 إلى 1990، لكن هذا النجاح الاقتصادي الهائل كان مقابلَ ثمــن إنساني باهظ. ويشير روني لونوار[2] إلى «انهيار سلوك العديد من الأشخاص، الذي يعبر عنه الاستهلاك المسعور لأدوية الأمراض العقلية النفسية ومضادات الانهيار العصبــي (تزَايَدَ العدد بستة أضعاف خلال خمــس وعشرين سنة)، وتزايَدَت العلاجات في جناح الأمراض العقلية والنفــسية داخل المستشفيات (ثمانمئة ألف شخص)». ومنذ سنة 1962 إلى يومــنا هذا، تزايد بثلاثة أضعاف عدد الأشخاص الذين أقبلوا على الانتحار والذين أدخلوا إلى مستشفيات الأمراض العقلية، وتزايد بستة أضــعاف عــدد الــذين يستهلكون المهدئات. وانتقل حجم النفقات «العادية» في مجال الصحة، من سنة 1980 إلى 1991، من مئتين وسبعة وعشرين مليار إلى ست مئة وخمسة وأربعين ملياراً. وأصبحت فرنسا،

---

(1) Philippe Saint Marc مفكــر فرنــسي معاصر اهتم بقضايا الإنسان المعاصر وبالخصوص بالأزمة الأيكولوجية الحالية، من أعماله: L'Ecologie au secours de la vie, une médecine pour demain, éd. Frison roche, Paris 2004.

(2) René Lenoir رجــل سياسي فرنسي من مواليد سنة 1927 بالجزائر، تقلد العديد من المناصب الحكومية، وكان من أبرز المدافعين عن المهمشين داخل المجتمع. من أعماله:

* *Le Tiers Monde peut se nourrir*, éd. Fayard, 1985.

* *Les exclus-Un Français sur dix*, éd. du Seuil (1974). collection Points Actuels. (المتــرجم)

وهي بلد العيش الرغيد، بلد النوم التعيس، حيث يتم استهلاك أكبر قدر من المسكنات.

وأغلب الأمراض لها أسباب ثلاثة: عضوية، ونفسية، وسبب ثالث اجتماعي وحضاري. والبرهان على هذه الخاصية الاجتماعية - النفسية - العضوية للعديد من الأمراض ظهر واضحاً خلال الأسبوعين الأولين لأحداث مايو 68، عندما أُفرِغت بشكل فجائي عيادات المعالجين النفسيين، وعيادات المحللين النفسيين، وعيادات الطب العام، وعيادات المعالجين، بفعل المرح المعمم، وشلل النظام الاجتماعي، والتواصل السعيد بين الفرد والجميع، إلى أن تم، مع عودة النظام إلى المجتمع، ظهور حالات قرحات المعدة، وصداع الرأس، والأرق، والغثيان، والكآبة. وكما قالت ذلك صحيفة **مجلة التايمز**[1] (24 يونيو 1996)، إنه من ستين إلى تسعين في المئة من الوصفات الطبية تعود إلى تفاعل **النفس والجسد**[2] (جسدية نفسية). ويلعب الضغط ونمط العيش في حضارتنا دوراً في هذه الأمراض المزمنة - مثل الارتفاع الكبير لضغط الدم، وآلام القَطَن، وآلام عِرْق النَّسا، وأمراض المفاصل، والانهيارات العصبية -، كما يلعب دوراً في الأمراض الحادة التي أصبحت مزمنة - مثل السرطان ومرض فقدان المناعة. **والطب التقني المتقدم**، بتحقيقه لنجاحات هائلة (عمليات فشل الكبد والكلي، والقلب، وإعادة ترميم رضوض الحرب أو الحوادث، والقضاء على العديد من الأمراض المعدية)، يعاني من المغالاة في التخصص، ويحمل المرضى تبعات ذلك، إذ يتم النظر إلى أعضائهم في استقلال عن جسمهم، وينظر إلى أجسامهم بمعزل عن كيانهم العام، الذي له طبيعة

(1) Time Magazine.

(2) بالإنكليزية في الأصل: «*mind-body*».

بيولوجـــية، وسيكولوجية واجتماعية. والنتيجة هي أنه كَمْ من أمراض يُنظـــر إليها وكأنها أمراض خاصة بشكل تام، أمراض يتصدى لها كل فرد على نحو خاص، هي في الحقيقة عبارة عن مؤشرات لقلق حضارة، وعليها أن تفتح إشكالاً سياسياً داخل سياسة الحضارة.

والعديد من المشاكل الوجودية تتولد داخل تركيب الحضارة، مثل الإحـــساس بطـــلاق بين النفس والجسم، وفقدان التحكم في جسمنا الخـــاص. ومـــن المثير أن بحثاً ميدانياً أجري لمعرفة أمنيات الأميركيين خـــلال سنة 1996، يشير إلى أن الكثير من المستجوَبين يتمنون "فقدان الـــوزن"، مبرزين بذلك أن أجسادهم أصبحت تنفلت من كل تنظيم ذهـــني. واللجوء إلى العديد من الرياضات، والجري، ورياضات الهواء الطلـــق، واللجـــوء إلى أســـاتذة اليوغا، والمحللين النفسيين، والمعالجين النفسانيين يعبر عن نقص وحاجة في الحصول على تصالح وانسجام بين الكائن النفسي والكائن الفيزيائي.

إن القلق العام مُتَفشٍ، ومتقطع، ويحياه الناس بشكل متنوع· لكن مشاكل الشباب والشيخوخة تُظهِر هذا القلق في صورة مركزة· لنتناول قلـــق الـــضواحي، وهـــو القلق الذي يتحدد مجالياً، وسوسيولوجياً، وجيلياً – إنه يمس خصوصاً المراهقين. وهو ينمو من دون شك في عالم خارج العالم الذي يسمَّى سَوياً، ويتطلب حلولاً خاصة ومحلية... ومع ذلـــك فما يعيشه مراهق الضواحي يشكل التعبير المحلي والهامشي للقلق العام والمتفشي. ينبغي النظر إلى قلق الضواحي هذا على أنه مؤشر يمثل درجـــة قـــصوى لقلق أكثر عمومية. وقد وصل فيه تفكك الأسرة إلى أقصى الحدود، وأصبحت الجماعة أو العصابة هي المجال الذي يعيد لحم عـــرى التضامن التي انحلت في موضع آخر. **والانفكاك** بين الأنا والهو والأنـــا الأعلـــى قد أصبح في هذا القلق المعمم **انفصالاً**. والمراهق هو

الحلقة الضعيفة في المجتمع: يخرج من شرنقة الطفولة، ويتطلع إلى الوجود الكامـــل، ولم يـــندمج بعد في عالم العمل، ومع ذلك نثقله بتطلعات، وانتفاضـــات، وحـــالات قلـــق: ويـــشكل تزايد محاولات الانتحار، واستعمال المخدرات، والاضطرابات الغذائية علامة استغاثة[1]. فالمراهق هـــو الحلقة التي يصل فيها ضعف مجموع السلسلة الاجتماعية إلى نقطة القطـــيعة. وهكذا فالمشاكل الهامشية تكتسب معنى مركزياً. والمراهق يحمل في داخله، بشكل مُركَّز، مشاكل حضارتنا.

وإذا اعتقدت انتفاضة الشباب، في مايو 68، العثور على حل لهذه الأمراض، فذلك لأن التيار الماوي[2] والتروتسكي[3] وغيرهما قدمت لها فرصـــة الإيمـــان في حياة أخرى، وعالم آخر، ومجتمع آخر. والحال أن الوعـــود الـــثورية اليوم قد انهارت، واختفى الأمل من المجتمع. ويمكن للاَّيقـــين، وللقلق أن يصبحا أمراضاً لا يمكن تحملها في عالم من دون

(1) Cf. Xavier Pommerau, *L'Adolescent suicidaire,* Dunod, Paris 1996. (المؤلف).

(2) الماويـــة نـــسبة إلـــى ماو زيدونغ، أيديولوجية بلورها ماو عندما كان رئيساً للحـــزب الـــشيوعي الـــصيني تأســـست الأيديولوجية الماوية على الفلسفة الماركـــسية (ماركس وأنجلز) وعلى الستالينية، لكن الماوية أضافت عناصر تنتمـــي إلـــى الحضارة الصينية وعندما تراجعت الأيديولوجية الستالينية في الخمـــسينات مـــن القـــرن الماضي بدت الماوية كخلاص لكثير من المثقفين اليـــساريين في الغرب في بعض بلدان العالم الثالث وما زال الحركة الماوية منتعشة في بلد كالنيبال. (المترجم)

(3) نسبة إلى ليون تروتسكي (1879-1940) رجل سياسي من أصل روسي من مؤســـسي الحـــزب الشيوعي الروسي ومن أعلام الثورة البلشفية، ومؤسس الجيش الأحمر عندما توفي لينين، تم إقصاء تروتسكي من الحزب الشيوعي، وبعـــث ســـتالين من يقتله في مكسيكو سنة 1940. تتحدد الحركة التروتسكية بالأممـــية الـــرابعة التي تأسست سنة 1938. ومن أهم أفكار هذه الحركة هو الدعـــوة إلـــى الـــثورة الدائمـــة في مجموع العالم إلى أن يتم إقرار النظام الاشتراكي في كل دول العالم. (المترجم)

مستقبل، حيث أصبح فيه الأفراد في تشرذم. وحقنة الهيروين التي يحقن بها المراهق «التائه» جسمه هي المقابل الخانق للقلق الذي يهدئه الكبار بالأدوية المنومة.

وفي الطرف الآخر من السلسلة العمرية، نجد أن الشيخوخة تعاني من وقع الوحدة: وحالة السيد جورج تكتسب، مهما كانت درجتها القصوى، قيمة رمزية.

في بداية سنة 1995، تم اكتشاف جثته في الشقة التي يقطنها، والكائنة بالعنوان التالي: 5 زقاق دامبيير، وهي عبارة عن عمارة عادية بين سناك لبيع «الكسكس والمشويات»، وإسكافي، في زقاق صغير في المقاطعة التاسعة عشر [بباريس] المطلة على قناة لاجيروند. تم العثور على السيد جورج البالغ من العمر أربعة وستين سنة وهو يرتدي ملابسه وممدداً بجانب فراشه، ميتاً، منذ خمس سنوات. وقالت الحارسة إن السيد جورج كان في المستشفى منذ سنة 1989 حيث كان يتلقى علاجاً ضد مرض السرطان. إلا أن السيد جورج اختفى من المستشفى، والتحق بشقته، من دون أن يتمكن المستشفى ومحل سكناه من ملاحظة ذلك. وخلال مدة سنتين متتاليتين حاولت مديرية الضرائب الاتصال به عن طريق البريد المضمون، لكن من دون إلحاح، لأنه لم يعد خاضعاً للضرائب منذ سنة 1989. وتم قطع خطه الهاتفي في نهاية سنة 89 والتيار الكهربائي في يناير 1990. وواصلت الوكالة العمرانية لمدينة باريس، وهي مالكة العمارة، اقتطاع مبلغ خمسة آلاف ومئة فرنك، وهي قيمة الكراء، بشكل أوتوماتيكي من حسابه البنكي الذي كان يتلقى سنوياً معاشاً كتعويض عن عجز بدني لحق بالسيد جورج. ولا ندري مَن أخبَر رجال الإطفاء (والسبب كان هو الرائحة أكثر مما كان هو الغياب)، الذين أثارهم الرائحة النتنة، ففتحوا النافذة وأخذوا الجثة.

تم تـــشريح الجثة، وبعد ذلك دفنت في حفرة مخصصة لجثث عديدة، في مقبرة تياس[1]. لا أحد تقدم إلى البلدية بخبر الوفاة، وظل السيد جورج مجهـــولاً خلال موته كما كان خلال حياته، وبالخصوص في مراحلها الأخـــيرة. والأثر الوحيد الذي بقي منه هو صندوقه البريدي، الذي ما زال مملوءاً بأوراق الإعلان. هكذا نرى كيف أنه لم يبقَ من وجود، في حياتنا الحضرية، سوى لآلة مجهولة مكونة من المكاتب، يختفي فيها كل وجـــود إنـــساني أن الواقع قادر على تجاوز الأعمال الأدبية لكل من كافكا[2] وبيكيت[3].

يمكننا أن نفترض أن اللاشعور الجمعي له إحساس مُبهم بالتهديد الكبير الذي يتربص بالهوية، والاستئصال الذي يجري على ماض ضائع، وخطـــر المستقبل المجهول، وتقهقر جودة الحياة. وبالنسبة للكثيرين - يخشى أولئك الذين يعيشون في أحياء خطرة الاعتداءات عند استعمال الـــنقل العمومي أو تعرضَ منازلهم للسرقة - يصبح خطر الحياة اليومية هـــو النقطة الملموسة لهذا الخطر المبهم، في حين أن القلق المتعلق بالخطر له جذور أكثر عمقاً وأكثر اتساعاً.

فالاقتـــران الحاصـــل بين الأنانية - التي تختزل الأفق في المصلحة الشخـــصية - والتخـــصص - الذي يفكك ذكاء ما يكون شمولياً - والتجـــزئة الـــتي تمـــارس في العمل التقني المكتبـــي هو المحدد لضعف الإحـــساس بالتضامن، ويكون هذا الأخير هو المحدد لضعف الإحساس بالمسؤولية.

---

(1) مقبـــرة تياس: مقبرة في العاصمة الفرنسية باريس، أنشأت سنة 1929، على مـــساحة تقدر بثلاثة عشر هكتاراً، وهي تضم رفات مجهولي الهوية. ويدفن بها معتنقو جميع الأديان. (المترجم)

(2) Kafka.

(3) Beckett.

وعدم الإحساس بالمسؤولية يشجع تنامي الإحساس بالأنانية، الذي يقود، في إطار فقدان الإحساس بالمسؤولية والتضامن، إلى **الانهيار الأخلاقي** (تقهقر الإحساس الأخلاقي). ويشجع تنامي عدم الإحساس بالمسؤولية وتراجع الأخلاق على انتشار اللامسؤولية واللاأخلاقية.

وهذا التقدم العجيب للمعارف يصاحبه تقهقر للمعرفة بفعل هيمنة الفكر المجزّأ والمقسم على حساب كل نظرة شمولية.

وهكذا، فنمو حضارتنا يقودنا إلى تخلف ثقافي جديد، وإلى تخلف عاطفي - ولم يعد الناس قادرين على إيجاد جوابٍ عن حاجتهم للتواصل الإنساني، والمحبة، والاجتماع -، وإلى تخلف أخلاقي في ظل تقهقر المسؤولية والتضامن.

وأخيراً، يصاحب الازدهارَ الديمقراطيَّ، الذي تعيشه الأمم المتقدمة في أوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية، تقهقرٌ ديمقراطيٌّ: سلب المواطنين من قِبَل الخبراء والتقنيين، وأزمة «الأيديولوجيات» - وهي في الواقع أزمة أفكار ومشاريع -، وتقهقر السلوك المدني تحت تأثير تقهقر التضامن والمسؤولية.

إن مشكل حضارتنا هو من طبيعة شديدة التعقيد، من جهة لأن هذه الحضارة تتضمن في الوقت ذاته سمات إيجابية بشكل استثنائي وسمات سلبية بشكل استثنائي[1]، ولا يمكن التكهن بأي سمة من هذه

(1) تشكل السيارة النقطة التي تتركز فيها حسنات حضارتنا ومساوئها. وهي تمنح كل فرد، من حيث كونها منتوجاً نموذجياً للصناعة، والتقنية، والرأسمالية، استقلاليةً في المجال، وهي الشرقنة الأمنية للسلوك الداخلي، ونَشوةَ الإحساس بقوة هائلة يثيرها ضغط خفيف للقدم على دواسة السرعة. وهي في الوقت ذاته نافعة بشكل قوي؛ إذ تعتبر اللعبة الكبرى بالنسبة للإنسان الراشد في حضارتنا، مثلما أنها تشكل أجمل نجاح تقني للنزعة الفردية. وفي الوقت نفسه، تثير المغالاة في حركة المرور، في ظروف

الـــسمات ستصبح مهيمنة؛ ومن جهة أخرى لأن هذه الحضارة تؤسس مجموع العلاقات المتفاعلة فيما بينها، حيث إن كل عنصر هو في الوقت ذاتـــه منتوج ومُنْتِجٌ، علة ونتيجة، وحيث إنه لا يمكننا عزل محدِّد واحد «في آخر المطاف»، قد يسمح بتفسير كل شيء وقد يسمح انطلاقاً من ذلك بإيجاد سهل لحل بسيط.

وهكـــذا فمـــا هو محط سؤال يتجاوز فكرة حداثتنا[1]: إن الأمر يتعلق بالفكرة التي لدينا عن الحضارة، وكذلك عن التنمية.

---

الوســـط الحضري بالخصوص، العدوانيةَ، والاكتظاظَ المتواتر بشكل متزايد بحـــيث يؤدي إلى درجة الانسداد، وهو عبارة عن ضغط مستديم وانبعاثات ملوثة تُفسِد صحةَ سكانِ الوسطِ الحضَري. (المؤلف)

(1) لـــذلك فإنـــنا لن نتوقف عند فكرة التقابل بين الحداثة وما بعد الحداثة، رغم ســـداد هذا التقابل، لأن المشكل أكثر جذرية وأكثر تعقيداً من مجرد نضوب الحداثة. (المؤلف)

# صعوبة الإحساس بالوعي

مـــن الصعب الوعي بمشاكل الحضارة، والأكثر صعوبة هو طرح المشكل بعبارات سياسية.

أولاً، من المرهق إعادة طرح البديهيات المسلم بها للمناقشة، مثل الـــيقين الذي يقر بالخاصية الإيجابية لحضارتنا، واليقين الذي يجزم بأن التقدم الحتمي ملازم لنموها. وليس من السهل القيام بتشخيص ملائم؛ إذ مـــن المحـــتمل أن يكون هذا التشخيص شديد التشاؤم، أو مبَالغاً في التفاؤل.

بـــدأت حضارتنا تعي خطر الاختناق الفيزيائي الذي يتهددنا من جـــراء الـــتقدم التقني – الصناعي، لكن الاختناق النفسي الناجم عن أمراض الحضارة التي تحدثت عنها لا يتم إدراكه إلا بشكل فردي وعلى نحو خاص.

ومن شبه المستحيل، عندما نَخضَعُ للفكر التجزيئي والتقسيمي، رؤية الصورة المجملة، أي الحضارية، لمشاكل نتصورها بشكل منفصل وفي أفضل الأحوال نضع بعضها إزاء البعض الآخر على شكل رداء متعدد الألوان: البطالة، الإقصاء، الاقتصاد، الضريبة، المخدرات، ... إلخ. وبطبـــيعة الحال، كل مشكل سياسي للحضارة ينحل في تصور يختـــزل السياسي في الاقتصادي. لكن من شبه المستحيل، عندما لا نولي الاهتمام إلا إلى الكفاءة الكمية، أن ندرك أن الامتياز الممنوح للمـــردود يحطم الطبيعة، ويفسد الأرض والتربة ويغير طبيعة البادية ويفسد الحياة الحضرية.

ومن شبه المستحيل أن نتصوّرَ، عندما **نقع تحت رحمة** بنيات الفكر التبسيطي/الباتر الذي نعتقد أنه فكر عقلاني، البعدَ المعقّد للظواهر، أي الطابـــع الازدواجـــي للعلم، والتقنية والصناعة، والتَّحضر، والسوق، والـــرأسمالية، والدولـــة، مثلما أنه من شبه المستحيل تصور التفاعلات الارتجاعـــية، والخاصـــية الـــتي تكون في الوقت ذاته واحدة ومتعددة ومتناقضة للواقع الجديد. والاضطراب موجود كذلك لدى المفكر الذي يقـــوم بعملـــية التشخيص: فالسيرورات ذات طابع ازدواجي، وبالتالي ســـتكون الأحكـــام والتكهنات غير يقينية. والبعد المعقد للمشاكل، المـــرتبط بمـــشاكل صـــعبة[1] معولمة، يجعل من الصعوبة بمكان امتلاك الوعي. وعدم القدرة على تصور الطابع المعقد لعالمنا يجعل من الصعب التفكير في سياسة ذات طابع معقد للحضارة.

وهـــناك أيضاً مشكل الزمان: إننا نعيش في مرحلة تشهد تسارع السيرورات والسرعة الكبيرة للتطور تساهم في إعاقة وعينا بالواقع: لقد كـــان هـــناك دائمـــاً تأخر للوعي على التجربة: وكما قال أرتيغا بي غاسي[2] «إننا لا نعرف ما يحدث، وهذا بالذات هو ما يحدث». وقال

(1) الإحالـــة هنا إلى عقدة قطعها الأسكندر الأكبر بسيفه، وهي تحيل معنى إلى مشكل صعب ومعضلة معقدة. (المترجم)

(2) جـــوزيه أورتـــيغا غاسي Ortega Y Gasset فيلسوف ومفكر وصحافي من أصل إسباني ولد سنة 1883 وتوفي سنة 1955، من أعماله:

* La révolte des masses (1929)
* Mission de l'université (1930)
* La rédemption des provinces et la décence nationale (1931)
* Autour de Galilée (1933)
* L'histoire comme système (1935/1941)
* De l'Empire romain (1941)
* La raison historique (1940-1944)
* Une interprétation de l'histoire universelle (1948)

هيغل: «إن طائر المينرفا يحلق دائماً في الغسق». ويزداد التأخر استفحالاً في زمن متسارع.

وتخضع سلوكياتنا في الآن نفسه لتشتت يمنع كل تفكير معمق: إننا نتحرك أكثر مما نتصرف. ولا نتمكن من الوعي بالحاضر. ونحن نعاني من مشكل التأخر الحتمي للوعي على المعيش، الذي تعمقه سرعة الأحداث وتعقد الظواهر. وفوق ذلك، لا تسمح مسارات التفكك داخل حضارتنا بإدراك مسارات ممكنة لإعادة التكون. والمجتمعات المعقدة تتطور حسب مسار التفكك/وإعادة التكون. وكما يقول ذلك ألان كايي[1]: «إن الكارثة حاضرة هنا باستمرار، و[...] مع ذلك فإنه يتم إبعادها بدرجات متفاوتة من النجاح». لكن المجرى أصبح شديد السرعة. فهل نحن نسير نحو طفرة، أم تغير، أم تقهقر؟

* L'idée de principe chez Leibniz (1947)
* *L'homme et les gens* (1949) (المترجم)

(1) ألان كايي Alain Caillé عالم اجتماع فرنسي ولد سنة 1944 وأستاذ علم الاجتماع في جامعة العاشرة في باريس، اشتهر بنقده اللاذع للاقتصاد القائم على التصور الأداتي والنفعي المحض من أعماله:

* Critique de la raison utilitaire, La Découverte, 1989
* Don, intérêt et désintéressement, La Découverte, 1994
* Anthropologie du don, Paris, Desclée de Brouwer, 2000
* Dé-penser l'économique - Contre le fatalisme, La Découverte, 2005 (Bibliothèque du M.A.U.S.S.) (المترجم)



# حركات المقاومة المتعاونة

أمـــام تنامـــي التقنـــية، ومنطق الإفراط في التنمية، وتنامي البعد البيروقراطي في الإدارات وفي الشركات، وتشرذم الأفراد الذي لا تعمل التنمـــية التقنية والاقتصادية سوى على تسارعه، أمام كل ذلك نلاحظ أن المجتمع المدني يدخل في مقاومة من خلال بلورة اتجاهات مضادة.

وتظهر الاتجاهات المضادة الأولى في المقاومات الخصوصية، التي لهـــا طابـــع تلقائي، ضد التشرذم والتجرد من الهوية. وهكذا يقاوم الأفراد من خلال ربط علاقات عاطفية متعددة، وبالبحث عن المتعة، والاهـــتمام بالصداقات، وعصابة الأصدقاء، أي ما سماه مافيزولي(1) **بظاهـــرة القبلـــية الجديدة**. إنهم يقاومون تنامي التحضر والمغالاة في التحـــضر المعمَّـــم بالإكـــثار من عطل نهاية الأسبوع، والخرجات، والعطل، التي يغيرون خلالها بشكل جذري نمط الحياة والسلوكيات، التي أصبحت عبارة عن سلوكيات قروية جديدة، أو سلوكيات محبين جـــدد للطبـــيعة.·وفي المدينة ذاتها، يتم الرجوع إلى الأكل البسيط،

(1) Maffesoli عالم اجتماع فرنسي ولد سنة 1944، من أعماله:

* *Le réenchantement du monde*-Morales, éthiques, déontologies, Paris, Ed. Table Ronde, 2007.
* *Iconologies. Nos idolatries postmodernes,* Paris, Albin Michel, 2008.
* *Après la modernité? - La conquête du présent, La violence totalitaire, La logique de la domination,* Paris, Editions du CNRS, coll. Compendium, 2008.
* *La République des bons sentiments*, Editions du Rocher, 2008.
* Apocalypse, CNRS Editions, 2009. (المترجم)

والـــركون لأصحاب أوفياء ونفوس تفيض حبّاً على شكل حيوانات منـــزلية، ويتم تأثيث داخل المنازل والشرفات بنباتات الشقق. ويقاوم سكان المدن القلقَ باللجوء إلى الأدوية، والمهدئات، وأساتذة اليوغا، وتفقـــد مقاومـــتهم الأمل وتسقط تحت رحمة المخدرات والكحول. وضـــد قلـــق الضواحي، يخلق الشباب عصابات أو يعيدون تأسيس جماعـــة. لكـــن هذه المقاومات من طبيعة هشّة: فالعلاقات العاطفية تـــتحطم، والعـــصابات تتفرق، والمُتَعُ تنضب، والممارسات الجنسية المتحـــررة أوقفها مرض فقدان المناعة[1]، والنـــزعات الجديدة الداعية إلى العـــودة إلى الطبـــيعة، والداعية إلى التقاليد البالية، وإلى الحياة في القرى، لا تقدم سوى خمود مرحلي.

ومـــن جهـــة أخرى، لا يقدم اقتصاد السوق ولا تقدم الرأسمالية تجـــانس أنمـــاط العيش، وكثافتها فحسب، وهما لا يقومان فقط بخلق اصـــطناعي لرغبات جديدة وحاجيات جديدة، إنهما، بمجرد ما تكون هـــناك مـــردودية، يخـــدمان غرائز للبحث عن حياة مكثفة، ومسلية وشـــاعرية. ولا يقدم عالم التلفزة أو السينماء الحياة المسلية، والكثيفة، والعاشـــقة، والمغامرة إلا بالوكالة، وبشكل خيالي. وهكذا يساهم هذا العـــالم في إدمـــاج الأفراد الخاضعين لنثرها اليومي في داخل حضارتنا وبـــالعكس، يقدم هذا العالم، في بعض الأحيان، لمراهقين في قطيعة مع مجـــتمعاتهم، نمـــاذجَ شبيهة ببطلي فيلم **بوني وكلايد**[2] من أجل حياة

(1) أي مرض السيدا، الإيدز. (المترجم)

(2) الإحالـــة هـــنا إلى الفيلم *Bonny and Clyde* الذي يرسم حياة كل من بوني باركير وكليد بارو، (Bonnie Parker et Clyde Barrow) زوجان مجرمان فـــي الـــولايات المـــتحدة خلال الأزمة الاقتصادية في الثلاثينات من القرن الماضي قاما بعمليات سطو على العديد من البنوك، في الجنوب الغربي وقتلا ما لا يقل عن اثني عشر شخص. (المترجم)

ملتهبة ومغامرة، في حرب ضد المجتمع، لكن هذه الحرب تقود إلى الموت، كما هو الشأن في فيلم **بوني وكلايد**.

ومع ذلك، ففي ما وراء المشاهد الخيالية المعروضة بكثافة، تسمح المنافسات الرياضية الكبرى بالمشاركة في المغامرة الجريئة لكبار سائقي سيارات السباق أو أبطال السفن الشراعية التي تقطع المحيطات. وتمنح المباريات الكبرى في كرة القدم أو الكرة المستطيلة فرصة المشاركة، من خلال ملاعب هائلة، أو من خلال التلفزة، في ملاحم الفرق المحلية والوطنية· كل هذا يشكل إلهاءً وتسلية، وفرصة للهروب وعودةً جديدةً للبعد الأسطوري - الخيالي في إطار الطموح إلى حياة شاعرية، أي إلى «الحياة الحقيقية»، طموح يزداد عمقاً أكثر فأكثر، وهو طموح ترعاه حضارتنا الفردية، لكنها في الوقت ذاته تكبته بمقتضى إكراهاتها أو تشبعه بشكل خيالي.

ويقوم اقتصاد الهروب على خدمة البحث عن «الحياة الحقيقية» من خلال تأسيس نوادي للتلاقي، والتسلية، والعطل، ووكالات سياحية، ومآوي قروية تعمل من أجل تقديم شروط هذه الحياة المغايرة، تحت شمس البحر الأبيض المتوسط أو تحت المدارات، وعلى قمم الجبال أو في البادية، وتمنح إمكانات تحقيق ما تم تنْغِيصُه وكَبْتُه في الحياة اليومية. بل إن نادي البحر الأبيض المتوسط ينجح في خلق تجمعات إنسانية مرحلية حيث يُمنَع استعمال المال - شريطة أن يدفع المرء في البداية ثمن غياب الثمن - وحيث إن الفوارق الاجتماعية تنمحي عند «الأعضاء الطيبين»، الموضوعين تحت رقابة وصية يشكلها «مُنظِّمون طيِّبون».

وظهر منذ قريب، وهذه المرة بشكل مُجدد، اقتصادٌ بيئيٌّ وبدأ يتبلور بمنتجيه الصغار وكبار موزعيه، مزودين السوق بالبيض والخضر

والـــدواجن ذات ضمانة «بيئية». وبدأت تظهر بشكل متزايد مقاومة الغـــذاء المصنع والمتجانس من خلال البحث عن الغذاء المحلي، وخمور الضيعات الخاصة.

والواقـــع أن مقاومة مدنية جديدة ظهرت منذ التقاء ثلاثة أشكال مـــن الوعـــي: الوعي بالتقهقر البيئي، والوعي بأزمة الشغل، والوعي بتـــردي حالـــة البوادي. وهكذا تشكلت تلقائياً خلايا سوسيولوجية صغيرة في إطار صراعها ضد البطالة، وتصحر القُرى، وتلاشي الهويات. وهـــي تعمـــل من أجل جودة الحياة وإعادة تجديد حضارتنا. وهكذا فالوعي المدني والشعور بالتضامن يدرك المشاكل أفضل من المعرفة التي تعمل بشكل تجريبـــي أو تقني أو سياسي.

إن المجتمع المدني يقاوم. ويتعلق الأمر في أغلب الأحيان بظاهرة مقاومـــة مـــتعاونة: إن مجتمعنا المدني يقاوم بالتعاون مع النظام الذي يعمـــل علـــى استمرار أمراضه رغم أنه ينجح في التخفيف من حدة بعـــضها. ويتعلق الأمر كذلك بعض الأحيان بظاهرة تؤسس مقاومة مُجـــدِّدة، تحمل في حضنها الوعد بإحداث إصلاح، بل الوعد بتغيير شـــامل للحضارة. لكن هذه المقاومة ما زالت شديدة التشتت، وغير ناضـــجة بمـــا فـــيه الكفاية. وما زالت العتبة مبهمة، وهي بلا شك مـــتأرجحة بـــين ما يعطي الهيمنة للمقاومة على حساب التعاون مع الـــنظام، أو للـــتعاون مع النظام على حساب المقاومة. وبالتالي فإننا نعيش في مرحلة غير يقينية حيث إن انهياراً جامحاً قد تشكّلَ من دون أن نـــتمكن الآن من إطلاق أزمة داخل المجتمع. إننا في وضعية سابقة علـــى الأزمة ومتعددة الأزمات. لكن لم تبرز أي أزمة بروزاً حقيقيّاً، باستثناء بعض الانفجارات العنيفة التي تسمح بخروج مؤقت للغازات الـــبركانية، ثم تسمح بإعادة تشكلها. وهكذا تستمر الأشياء. وهي

تستمر لا سيما وأنه كلما حاول رجل سياسي النظر في الحجم - أي النظر في الطابع المعقد للمشاكل - لا يعرف ما العمل وسرعان ما يتراجع مفزوعاً. وقد شعر المسئول الإعلاني الملهَم للحزب الاشتراكي الفرنسي سنة 1980، بالطموح إلى «تغيير الحياة»، لكن هذا الحزب لم يقم أبداً بصياغة أبسط فكرة، وأبسط اقتراح في هذا الاتجاه وأصبحت العبارة شعاراً متشدقاً.

وفي الوقت الذي تتنامى الاتجاهات المهيمنة، ظهرت اتجاهات مضادة أخذت تتنامى هي بدورها. وفي الوقت الذي ازداد فيه تقهقر الحياة في الوسط الحضري وازداد التصحر اتساعاً، أخذت تظهر العديد من حركات المقاومة وأخذت تتكاثر. لكن الحركات المضادة للاتجاه والمضادة للتيار لم تلتق بعد، ولم تتآزر.

إن هذه الاتجاهات المضادة وهذه المقاومات هي التي ينبغي جمعها على شكل حزمة، وحثها وإدماجها داخل سياسة للحضارة. وفي كل مكان تبرز مبادرات من أجل إعادة إحياء النسيج الاجتماعي والحياة المدنية. لكن هذه المبادرات متفرقة، ومحلية. ولا يجب تنظيمها وإنما يجب **ربط جميع عناصرها في مجموع واحد**، أي ربطها كي تشكل كلاً، حيث لم يتم إدراك التضامن، والتآخي، والبيئة، وجودة الحياة، بشكل منفصل، وإنما ستدرك بمجملها.

إننا نعيش في مرحلة تمهيدية لتحول حضاري ممكن، حيث ستتغير العلاقات بين العمل/الرأسمال، التقنية/الإدارة، المدينة/القرية، الطبيعة/الثقافة، والحياة اليومية. وبدأت تظهر سلفاً بدايات متعددة للتغير، لكن التغير الحقيقي سيتم عندما تدخل كل الحدود في تغير متبادل، محققة بذلك تغيراً شاملاً، سيؤثر بشكل ارتجاعي في التغيرات التي حققها كل حد من الحدود.

وأيـــضاً، فما يشكل أهميةً أكثر من كل التصاميم والمشاريع هو ســـيرورات متـــنوعة تـــشكل كلاًّ قوياً مترابطاً[1] (أي أنها عبارة عن تـــركيب لقوة جماعية تتضمن أهداف، وآمال، ورغبات مجموع الأفراد الذين يرتبطون بها)، وتطمح لتحقيق انصهارها.

ينبغـــي العمل على إظهار هذه السيرورات في مجال السياسة كي تتحلى بصورة سياسة الحضارة.

(1) الإحالـــة هـــنا إلـــى الكلمة الفرنسية Egrégore وهي تعني القوة الذهنية أو الـــروحية التي يخلقها عدة أفراد إما بصلاتهم الجماعية أو بتأملهم الجماعي. (المترجم)

# سياسة الحضارة

إن عبارة «سياسة الحضارة» فرضت نفسها عليَّ في بداية سنوات الثمانينيات. وهي ترتبط بما سميتُهُ آنذاك بـــ «سياسة الإنسان»[1].

وهي عبارة تفيد سياسة متعددة الأبعاد، لأن كل مشاكل الإنسانية تكتسب اليوم بعداً سياسياً. وقد اقترحت الحركة الاشتراكية، بتبنِّيها وبتطويرها لمشروع الثورة الفرنسية، المُركَّز في الشعار الثلاثي «الحرية، والمساواة، والإيخاء»، سياسةَ الحضارةِ التي أخذت على عاتقها مهمة القضاء على بربرية العلاقات الإنسانية، والمتمثلة في استغلال الإنسان للإنسان، وشطط السلط، والأنانية، والتعصب العرقي، والقساوة، واللاتفاهم. وقد كرَّست عملها لخدمة مشروع التضامن داخل المجتمع، وهو مشروع لقي بعض النجاح بفضل عمل الدولة (**دولة المساعدة**)[2]، لكنها لم تستطع تجنب انتشار تلاشي التضامن المُعمَّم للعلاقات بين الأفراد والجماعات داخل الحضارة المدنية الحديثة.

كرست الحركة الاشتراكية عملها لدمقرطة مجموع نسيج الحياة الاجتماعية؛ لكن صيغتها «السوفياتية» أقصت كل ديمقراطية، و لم تتمكن الصيغة الاشتراكية - الديمقراطية من الوقوف أمام التقهقرات الديمقراطية التي أخذت، لأسباب متنوعة، تَنْخُر حضاراتَنا من الداخل.

---

(1) (المؤلف) انظر كتاب:
*Introduction à une politique de l'homme*, Points-Seuil, nouvelle édition, 1999.

(2) بالإنكليزية في الأصل، *Welfare State*. (المترجم)

وهكـــذا أصـــبح هذا المشروع المتمثل في سياسة الحضارة، وهو المشروع الأصلي للحركة الاشتراكية، إما مَحَطَّ خيانةٍ وقلبٍ لأهدافه، وإما أنه تم تمزيقه.

تعـــيد سياســـة الحضارة التطلع إلى المزيد من التشارك والتآخي والحـــرية، وهـــل التطلع الذي كان أصل الحركة الاشتراكية في القرن الماضـــي، هـــذا مـــع الاعتـــراف، هذه المرة، بصعوبته الأنثربولوجية والـــسوسيولوجية. واليوم، أصبح التطلع أقل سذاجة، لكن المدى الذي بات يكتسبه أصبح يدعونا إلى تحقيق عمل تاريخي يتطلب نَفَساً طويلاً، مـــدى من واجبه الاختلاط بالمغامرة البشرية: وهي مهمة أساسية من أجـــل تحسين العلاقات بين البشر، وذلك من العلاقات بين الأشخاص إلى العلاقات على مستوى الكوكب.

والـــيوم، نعزل مشاكل البطالة والشغل والإقصاء خارج سياقها، وندّعِـــي معالجتها انطلاقاً من منطق اقتصادي مغلق. ينبغي، بالعكس، دراســـتها داخـــل إشكال كبير للمجتمع والانطلاق من حاجيات الحضارة التي تتطلب، من تلقاء ذاتها، مناصب شغل جديدة. ولا يكفي الانطـــلاق من البعد «الاجتماعي» الذي قد يضع البعد الحضاري بين قوسين.

ولا يـــتعلق الأمر، بطبيعة الحال، في مقابل ذلك، بتقليص أو حل كـــل سياســـة داخل سياسة الحضارة؛ فالمشاكل الكلاسيكية للحكامة تظل قائمة، لكنها تصبح مرتبطة بها.

وبطبـــيعة الحال على سياسة الحضارة كذلك أن تعمل على تنمية جمـــيع الجـــوانب الإيجابـــية للعلـــوم، والتقنيات والدولة والرأسمالية والفـــردية،... إلخ. يتعلق الأمر بالاستثمار في البحث وفي خلق طاقات لطيفة (الشمسية، والريحية)، وتشجيع السيارات الكهربائية أو النصف

كهـــربائية[1]، والمراهنة على المناهج الجديدة في مجال البيو بيئية أو البيو جينـــية من أجل إصلاح الزراعات، والمراهنة على الأجيال الجديدة من الحواســـيب الذكية، القادرة على تغيير برامجها؛ وباختصار، ينبغي علينا الـــتفكير في عصر جديد للتقنية والعمل على تشجيعه، حيث إنه على هـــذه الأخـــيرة أن تـــتجاوز عـــصرها المتوحش الراهن (الميكانيكي، والحتمـــي، والمغـــالي في التخصص، والكرونيميتري)، الذي بسماحه بإضفاء الطابع الإنساني عليها، سيسمح، من خلال إعادة إضفاء الطابع الإنساني على الإدارات والشركات، بإعادة إضفاء الطابع الإنساني على الحياة اليومية.

وأخـــيراً، إذا ما انطلقنا من المشاكل التي تخص فرنسا، فلا يجب عليـــنا نسيان لا تفردها، ولا عموميتها: فالمشاكل الأساسية للحضارة الـــتي تـــصيب فرنسا هي كذلك مشاكل أوروبا، وهي المشاكل التي تطـــرح ذاتهـــا، في هـــذا العالم، حيثما وجدت «تنمية» – أي تنمية حضارتنا –، وستطرح ذاتها عاجلاً أو آجلاً حيثما كان [مجتمع ما] في «طريق النمو».

---

(1) أي الـــسيارات الهجينة التي تعمل بالبنزين وبالكهرباء. والهدف من ذلك هو تقلـــيص استهلاك الوقود والحد من انبعاث الغازات الضارة. ومن المعروف أن الـــسيارة تستهلك الوقود بشكل مكثف عند الانطلاق، ولذلك فإن السيارة الهجيـــنة تـــستعمل المحـــرك الكهربائي، وعندما تنتقل السيارة إلى السرعة الثالـــثة، وهـــي السرعة التي يقل فيها الاستهلاك، فإنها تنتقل إلى استعمال الوقـــود الذي يعمل في الوقت ذاته على شحن بطاريات المحرك الكهربائي. (المترجم)

# أوامر سياسة الحضارة

بإمكاننا الآن صياغة أوامر سياسة الحضارة:

- خلق التضامن (ضد التشرذم والتجزئية).
- الرجوع إلى الأصل (ضد تلاشي الهويات).
- المؤانسة (ضد تقهقر جودة الحياة).
- التخليق (ضد اللامسؤولية والأنانية).

## سياسة التضامن

أولاً، إن الوعـــي بمشكل التضامن يقود إلى إرادة إخراج هذا المشكل من أعماق تحت - سياسية حيث يرمى به، وجعله مشكلاً سياسياً مركزياً.

فالتــــضامن المجهــــول الهــــوية الذي تتحمل دولة - العناية أعباءه، بــــضماناته وتأميــــناته المتــــنوعة، لم يعد كافياً. هناك حاجة إلى التضامن الملموس والمعيش، الذي يمر من شخص إلى شخص، ومن مجموعات إلى شــــخص، ومن شخص إلى مجموعات. هناك في كل فرد، وفي كل شيء إمكـــــان للتضامن يبرز أثناء ظروف استثنائية، وهناك عند قلة من الناس غريـــزة دائمـــة تدفع إلى حب الغير. لا يتعلق الأمر بنشر التضامن، وإنما بتحرير القوة غير المستعملة للإرادات الخيّرة وتشجيع سلوكات التضامن.

وكمــــا قـــال فكلاف هافيل[1]: «لا أتوقف عن التوصل إلى حجج جديدة تؤكد أن إمكاناً هائلاً من الإرادة الخيرة تنام في داخلنا. وهي ليست

---

(1) Vaclav Havel كاتب ومثقف وسياسي تشيكوسلوفاكي ولد سنة 1936. أصبح رئيساً للدولة التشيكوسلوفاكية بين سنة 1989 و1992، ثم رئيساً لدولة التشيك بين سنوات 1993 و2003. (المترجم)

إلا في حالـــة تشرذم وتخويف وسجن وإعاقة واضطراب... وفي هذه الحالة، مـــن واجب رجال السياسة إرجاع هذا الإمكان الخجول والنائم إلى الحياة، وأن يقدم له طريق، ويفتح له سبيل، وأن تعطى له ضمانة وإمكانية التحقق».

كـــنت قد اقترحت في السابق، أن يشرع في تجريب مشروع بناء «دور التضامن»، التي يمكنها أن تُعمّمَ في المدن والأحياء[1]؛ وهي دور

(1) يـــوجد فـــي مجتمعاتـــنا حوالي عشرة في المئة من السكان الذين يشعرون بنزوع نضالي للتفاني في خدمة للغير. وبعض من هؤلاء المتفانين فقدوا الأمل في قضيتهم بفقـــدانهم الإيمـــان فـــي الـــثورة؛ والـــبعض الآخـــر فشلوا في محاولاتهم لخلق مؤانـــسة/جماعـــة على مستوى المجموعات الكبرى، مثلاً في المدن الجديدة، إلخ.. وهـــذه الأقلـــية قد تكون مهيأة للقيام بأعمال تضامن ملموسة خصوصاً وأنها على وعـــي بأخطـــاء أو أكاذيب النضالات السابقة. وفوق ذلك، هناك منابع غير متوقعة مـــن التضامن. وقد لوحظ ذلك منذ بضع سنين في المدن الأكثر عنفاً وتشرذماً في الـــولايات المتحدة: إذ تأسست بشكل تلقائي جماعات تدعى "ملائكة" من المراهقين المجتمعـــين لا علـــى شـــكل عصابات، وإنما على شكل تجمعات من أجل إسعاف المُعـــتدَى عليهم والفقراء والبؤساء. هناك إذن رَحِمٌ غني بالإرادات الطيبة في داخل المجـــتمع المدني؛ يتعلق الأمر بتشجيع يقظة هذه الإرادات أينما كانت في حالة نوم، وبالمـــساهمة فـــي تطورها أينما ظهرت. هناك سلفاً خدمات للتضامن متعددة وذات أشـــكال متـــنوعة، تابعة للقطاع العمومي، وهي إما تتلقى إعانات وإما ذات تمويل خـــاص (مـــثل جمعية الصداقة – النجدة)، والتي من الممكن تجميعها وتنميتها في محل واحد يكون خاصاً بالتضامن. وانطلاقاً من ذلك يمكننا التفكير في تأسيس دُور للتـــضامن، في المدن الكبرى لفرنسا، حيث تتم مَرْكَزَةُ قطاع محدد لكل الخدمات العمومـــية والخصوصية للمساعدات الموجودة، وحيث سيتم خلق خدمات جديدة، على شكل نموذج مراكز الأزمات لولاية كاليفورنيا، الذي يتفانى في إنقاذ ضحايا الجـــرعات الـــزائدة، لا في تناول المخدرات فحسب، بل وفي كل المآسي كيفما كانـــت، وهي مبادرات تطوعية يساهم فيها أطباء وممرضون ومتعاطون سابقون للمخـــدرات. وســـتكون مـــثل هذه الدور مزودة بمعدات الإنذار التي لن تعوض مصالح الشرطة أو المستشفيات، وإنما ستحفزها أثناء الحالات العاجلة. وستكون عبارة عن محلات اتخاذ المبادرات والوساطات، والإعلام والتعبئة الدائمة. انظر بصدد "سياسة التضام" كتاب: Un nouveau commencement, par E. Morin, et G. Bocchi, M. Ceruti, Seuil, 1991, pp. 196-199. (المؤلف)

ستتضمن **مركز الأزمات**[1]، وهو عبارة عن مركز استقبال من أجل الحاجات الأخلاقية المستعجلة، وفرقة من المتطوعين المحترفين، يكونون جاهزين باستمرار للقيام بكل الحاجيات غير تلك التي تقوم بها أجهزة الإسعاف أو شرطة النجدة. ويمكننا، في إطار هذا المنطق، التوفر على فاعلين متضامنين في كل إدارة، وفي كل مكان استراتيجي.

وفي الوقت ذاته، يمكننا تشجيع «اقتصاد تضامني»، سيكمل بأشكال جديدة عمل اقتصاد تعاضدي: أي مبادرات ترتكز على تضامنات محلية أو، بالعكس، تحفز هذه التضامنات؛ وتشكيل تعاونيات وجمعيات من دون هدف مادي لضمان خدمات اجتماعية قريبة من المواطنين.

يمكننا تصور مواصلة ما قد شرع في إنجازه بشكل تلقائي جنود فرنسيون في البعثة العسكرية فوربرونو[2] إلى سراييفو، الذين حوّلوا تدريجياً الخدمة العسكرية إلى خدمة مدنية للمساعدة - التضامن مع المآسي الداخلية والخارجية (أوروبا وأفريقيا).

لا يمكن لمجتمع يتقدم بشكل معقد إلا إذا تقدم بالتضامن: وبالفعل، فالتعقيد المتزايد يتضمن حريات متزايدة وإمكانات لاتخاذ مبادرة متزايدة وإمكانات تكون خِصْبة كما أنها تكون مُهدِّمة ومُوَلِّدة للفوضى. تتوقف الفوضى القصوى عن أن تكون فوضى خِصْبة. بل إنها تصبح مُهدمة بالأساس، والحالة القصوى للطابع المعقد للظواهر يتقهقر عندئذ بتفتيت الكل إلى عناصر منفصلة. ويمكن لعودة الإكراهات بطبيعة الحال الحفاظ على تلاحم المجموع، لكن ذلك يتم على حساب البعد المعقد للظواهر؛

---

(1) بالإنكليزية في الأصل: *Crisis Center*. (المترجم)

(2) Forpronu تعني الفرقة التي أنشأتها الأمم المتحدة قصد إحلال السلم والأمن خلال الأزمة اليوغوسلافية في التسعينيات من القرن الماضي. (المترجم)

والحـــل الوحـــيد المُدمِج والمناسب للبعد المعقد للظواهر يتمثل في تنمية التضامن الحقيقي، الذي لا يكون مفروضاً على الناس، وإنما يشعر الناس بـــه ويعيشونه كتآخي. وفي هذا المعنى تصلح الصيغة التي أطلقتها حركة تضامن البولونية[1]: «لا حرية من دون تضامن».

## سياسة جودة الحياة

تتجـــسد جـــودة الحياة في رغد العيش في المعنى الوجودي وليس فقـــط في المعنى المادي. وهي تفيد جودة التواصل مع الغير، والمشاركة العاطفـــية والـــودودة. وبطبيعة الحال، لا يمكن للسياسة خلق ما يعيشه الـــناس وخلق ما يشعرون به، بل يجب التخلي عن الاعتقاد بأن هدف الـــسياسة هو السعادة - وهي فكرة تمت صياغتها في دستور الولايات المتحدة وتم استعمالها من قبل سانت جوست[2]. بإمكان السياسة ومن واجـــبها إقـــصاء الأســـباب العمومـــية للتعاســـة (الحرب، والمجاعة، والاعتداءات)، لكن ليس بإمكانها خلق السعادة.

وسياســـة الحضارة لا يمكنها خلق جودة الحياة، لكن من واجبها التأثير على هذه الجوانب الاجتماعية والحضارية. من واجبها أن تسعى

(1) Solidarnosc حـــركة التـــضامن هي فيدرالية من النقابات البولونية تأسست ســـنة 1980، وكان قائدها آن ذاك ليش فاليزا Lech Valesa. تمكنت حركة التضامن من تحقيق تآلف بين العديد من النقابات في مجموع التراب البولوني وأدت مـــوجة الإضـــرابات التي عرفتها بولنيا سنة 1988 إلى إرغام النظام علـــى الحوار مع حركة التضامن وإلى إجراء انتخابات حرة أدت إلى فوز متزعم حركة التضامن ليس فاليزا. (المترجم)

(2) لويس أنطوان ليون دي سانت جوست Saint-Just رجل سياسي فرنسي ولد ســـنة 1767 وتوفي سنة 1794 تميز بمواقفه الداعمة بشكل متشدد لاستعمال العـــنف خـــلال الـــثورة الفرنسية، وسمي «بجبريل الثورة» وبـــ «جبريل الرعب». (المترجم)

إلى مساعدة وتمديد وتعميق المقاومة التلقائية «للمجتمع المدني» من أجل تحسين جودة الحياة· ولجودة الحياة مداخل كثيرة· المدخل الأول بيئي، أصبح من الآن معترفاً به من قبل الجميع؛ والآخر، يقوم على المؤانسة، التي وصفها إيفان إيليتش[1] منذ أكثر من ثلاثين سنة، لكن رسالته طواها النسيان. إن السياسة البيئية مكون لسياسة المؤانسة، لكنها لا تشكل مجموعها. والمؤانسة تتضمن مَوَدّة تربط شخصاً بشخص، وتتضمن مشاركة ومشاطرة الغير - الجار، والقريب، والزائر - في متعه ولذاته وآلامه. والنضال ضد التشرذم، وتلاشي الهويات، وتنامي البعد التقني المكتبي هو في حد ذاته نضال من أجل بناء المؤانسة أو إعادة بناءها.

بل الأفضل من ذلك أنه يجب إرجاع الفضيلة من منبعها السريالي ذي التعبير التالي: «لنغيِّر الحياة». إن إرادة تغيير الحياة، لا تعني فقط السماح للحياة بمقاومة الاختناق الذي تولده الإكراهات والعزلة والعبودية، إنها تعني كذلك السماح للحياة بالتعبير عن ميزاتها الشاعرية بمنع الاكتساح الرمادي للنثر. وقد قال هولدرلين إن الإنسان يقطن الأرض بشكل شاعري. ينبغي إضفاء طابع معقد على كلامه هذا والقول: إن الإنسان يقطن الأرض بشكل نثري وشاعري· والحياة الإنسانية منسوجة بالنثر والشعر. والحياة النثرية تتكوَّن من مهام عملية، ونفعية، وتقنية، وعقلانية، وتجريبية· والشعر - إذا حددناه أنثروبولوجياً، وليس فقط أدبياً - يشكل نمطاً من الحياة في حضن التشارك والحب والمتعة والحماسة والإعجاب والتشارك والتمجيد،

---

(1) إيفان إيليتش (1926-2002) Ivan Illich مفكر من أصل نمساوي عرف بكتاباته ذات النزعة الإنسانية. من مؤلفاته: **تحرير المستقبل** (1971)، **مجتمع من دون مدرسة** (1971)، **المؤانسة**. (المترجم)

والطقوس والأعياد، والسكر والرقص والغناء والموسيقى والبهجة، ليبلغ أَوْجَهُ في النشوة. والحالة الشاعرية هي حالة «ثانوية»، لكنها تكون دائماً حالة أولية من وجهة نظر وجودية.

تشكل الحالة النثرية والحالة الشعرية قطبين مؤسسين لذواتنا، وكل قطب ضروري للقطب الآخر: ولو لم يكن هناك نثر، لما كان هناك شعر. الواحد يضعنا في وضعية نفعية وعملية، وغايته غاية نفعية وعملية. والآخر يمكن ربطه بغايات عشقية أو أخوية، لكن له كذلك غايات في ذاته. وأن نعيش بشكل شاعري، معناه أن نحيا من أجل الحياة. ومن غير المُجْدي الحلم بحالة شاعرية دائمة، وهي حالة تسقط، فوق ذلك، في تفاهة من تلقاء ذاتها، وقد تعيد بعث أوهام الخلاص الأرضي بكيفية أخرى. محكوم علينا قبول تكامل الشعر والنثر وتناوبهما.

إننا في حاجة حيوية إلى النثر، مادام النشاط النثري يجعلنا نستمر في البقاء. لكن اليوم يقضي البشر، فوق الأرض، الجزء الأكبر من وقتهم إما من أجل البقاء وإما في العيش بطريقة ميكانيكية. وفي نهاية هذه الألفية الثانية تكاثرت ظاهرة المغالاة في النثر، بمَعِيَّة غزو منطق الآلة الصناعية لكل قطاعات الحياة، وتضخم العالم التقني - البيروقراطي، بمعية تجاوزات الزمن الكرونوميتري والمثقل والواقع تحت الضغط، على حساب الزمن الطبيعي لكل فرد. إن خيانة الأمل الشعري للثورة واندحاره عمل على إلقاء بساط من النثر على العالم. وفي الوقت الذي يحاول فيه التأصل العرقي والديني جاهداً إحياءَ شاعرية المشاركة الجماعية في كل مكان، على أنقاض الأمل الشعري لتغيير الحياة، ينتصر في العالم الغربي نثر القوة الاقتصادية والقوة التقنية؛ وهو انتصار يتحقق من دون شك، لبعض الزمن، لكنه زمن حاضرنا.

إنــــنا، في ظـــل هذه الظروف، في حاجة، من أجل وقف زحف المغالاة في النثر، إلى غزو مضاد للشعر، الذي يتبلور هو ذاته بموازاة مع بعث جديد للتآخي. بيْدَ أنه إذا لم يعد من واجب السياسة الدفاع عن حلـــم إقـــصاء النثر من العالم بتحقيق السعادة على الأرض، فلا ينبغي علـــيها أن تسجن نفسها في العمل النثري. يعني ذلك أنه لم يعد هدف الـــسياسة يتجـــسد فقـــط في «المجتمع الصناعي المتقدم»، و«المجتمع الـــصناعي»، أو «الـــتقدم التقني». إن سياسة الحضارة تتطلب الوعي الكامل بالحاجيات الشعرية للكائن الإنساني.

و«الحياة الحقيقية غائبة» حيثما لا وجود إلا للنثر. ومفهوم الشغل يطابق نثرية الانشغالات المُنتِجة. وعلى مفهوم الشغل أن ينقرض لصالح مفهوم النشاط، الذي يقرن المصلحة والالتزام الذاتي، والولع، بل والبعد الإبداعـــي، أي الخاصية الشعرية: وهكذا فالأنشطة السياسية والثقافية والفنـــية والتضامنية تكتسب جميعها بعداً شعْرياً. ومادامت الروبوهات والحواسيب تطارد العمل الإنساني، والتكنولوجيا الجديدة تخلق مناصب شغل أقل من تلك التي تُلغيهَا، فينبغي على الثورة التكنولوجية الحالية أن تدعو إلى التقليص المستمر لساعات العمل لصالح أنشطة مدنية وثقافية ولفائـــدة الحياة الشخصية. فتقليص مدة العمل إلى ثلاثين ساعة خلال الأســـبوع من شأنه السماح بإعادة تأسيس حياة عائلية وحياة خاصة. ويـــبدو بـــشكل متـــزايد أن التقلـــيلَ مـــن العمل الميكانيكي والمجزّأ والكرونوميتـــري لفائـــدة أنشطة مسئولة وخلاقة أمرٌ ضروريٌّ بشكل متـــزايد خلال بلورة سياسة الحضارة، لكنها ستتطلب ثورة في المنطق الـــذي يُسيِّر مجتمعاتنا، وهذه الثورة لا يمكنها أن تحدث في بلد واحد. إنهـــا تعـــني مجمـــوع البلدان المتقدمة تكنولوجياً، وسيكون على عاتق الوحدة الأوروبية اتخاذ المبادرة اللازمة لذلك... وعلى كل حال، على

سياســـة الحضارة أن تُدخلَ في بعدها التاريخي عملية تحويل العمل إلى نـــشاط، في الـــوقت ذاته الذي تقوم فيه بتقليص الحركية. ستدخلُ في الحـــياة جزءا من الراحة[1] («الكسل» بالمعنى الذي يقصده لافارگ[2]) ومن التأمل.

## التأصل، التجذر

إن الـــتجانس والتنمـــيط وتلاشي الهويات يميل إلى القضاء على التـــنوع الثقافي وإلى إتلاف الجذور. وتميل أزمة التقدم وأزمة المستقبل والطابـــع اللايقـــيني للغد إلى اختزال الحياة في **العيش عيشة الكفاف** القَلِـــق. لم يعد الحاضر مُغَذّى بالمستقبل. هناك حاجة لإعادة التأصيل، والرجوع إلى الجذور، وهي حاجة ينبغي استساغتها. والتأصل الماهوي هـــو التوجه العالمي المعمم للأزمة التي يعيشها العالم في نهاية هذه الألفية الثانية.

هناك قلق شائع، لكنه قلق حقيقي، يترتب على الإحساس بفقدان الأرض. ينبغـــي على المرء أن يعثر من جديد على أرضه، والكلمة هنا غنية بشكل قوي، لأنها لا تعني أرض فرنسا فحسب، وهي اليوم أرض

(1) كلمة وردت بالإيطالية في الأصل: Farniete وهي كلمة مركبة من Far و Niete، وهي تفيد الكسل وقضاء الوقت في الراحة. (المترجم)

(2) لافارگ Lafargue مفكر ولد في سانتياغو بكوبا سنة 1842، وتوفي باريس سنة 1911، مفكر تبنى المذهب الاشتراكي، من أعماله:

* *Le Droit à la paresse* 1880. Edition numérique disponible sur wikisource.

* *La Politique de la bourgeoisie*, 18 décembre 1881.

* *Que veulent donc les seigneurs de l'industrie du fer?* 18 décembre 1881.

* *Au nom de l'autonomie,* 18 décembre 1881. (المترجم)

مهددة من قبل العديد من التدهورات، وإنما تعني كذلك كوكب الأرض، الذي نُعَدُّ أطفالَه والذي من واجبنا الحفاظ عليه في تنوعه الحي والإنساني.

إن التأصيل الذي نقترحه يمزج بين التأصيل الفرنسي، والتأصيل الأوروبي والتأصيل الأرضي.

والتأصيل الفرنسي ليس قطعاً مرادفاً للانطواء على البعد الوطني، وليس رفضاً لأوروبا. وكل من أراد صيانة تفردٍ وتميزٍ وهوية يتضمن عُدّةً من الآليات المناعية. لكن ينبغي إقامة تعارض بين البعد المرضي المناعي – الذي يرفض كل شيء بما في ذلك الفيتامينات والعصارات المغذية الآتية من الخارج، والتي تميز الوطنية المنغلقة – والفضيلة المناعية، التي تمزج بين الانفتاح والانغلاق، وهي التي تشكل البعد المُدافع عن الوطن.

ومن أجل اتقاء الانغلاق الوطني، لا ينبغي الوعد بتقدم فارغٍ بشكل متزايد، وإنما العمل على قبول التأصل الهُوِّيَاتي على الطريقة الفرنسية. وإلا فإنه سيتم ذلك في إطار الانغلاق وستذهب الرغبة في الاندماج في اتجاه الأصولية الدينية والعرقية والوطنية.

هناك طريقتان كي تجد الأمة من جديد الإيمان في ذاتها. الأولى تتجسد في الانغلاق الوطني، والثانية تتجسد في الدفاع عن الوطن والانفتاح.

يمكن للتأصل الفرنسي وينبغي عليه أن يكون مدافعاً عن الوطن وأن يكون جمهورياً وأوروبياً. إننا نجد في الجذور التي أسست فرنسا سيرورة تمت على مدى أجيال عديدة لفَرْنَسَةِ أعراق متنافرة تحولت إلى مقاطعات إلى أن اعتبرت نفسها، في الرابع عشر من شهر يوليو من سنة 1790، مكونات طوعية «للأمة الكبيرة». واستمرت سيرورة الفَرْنَسَةِ انطلاقاً من نهاية القرن الماضي من خلال إدماج أمواج متتالية من

المهاجـــرين. وتعتبر مواصلة عملية إدماج الأجانب أحد الجوانب الذي مـــن خلاله تحقق فرنسا الوفاء لذاتها. والتأصل في الجمهورية هو تأصل في داخل المبدأ الذي من خلاله تُدخِل الهويةُ الفرنسيةَ في حضنها بشكل شـــبه جيني فكرةَ كونيةِ حقوقِ الإنسانِ. وفي هذا المعنى يسمح التأصل الفرنـــسي بإثبات ذاتي لفرنسا في إطار تفردها، ويسمح مبدأها الكوني المنفـــتح بإرادة إثبات ذاتية للبعد الأوروبيٍّ، حيث تشكل أوروبا جواباً حـــيوياً علـــى تحـــديات العصر الكوكبـــي، مع تشكيل مثال كوني للتشارك من أجل مواجهة الأزمة الكوكبية.

ولا ينبغـــي معارضـــة كيفـــية دفاع كل من فرنسا وأوروبا عن الوطن، لكن ينبغي ربطهما. يجب على أوروبا المتجاوزة للأمة أن تكون هي أوروبا الأوطان، مثلما يجب على الأوطان المتجاوزة للمقاطعات أن تحافظ على هوية جهاتها.

وأخـــيراً، قـــد يكون التأصل الجمهوري في حاجة إلى وضع مبدأ التـــضامن، الـــذي يـــشكل الحد الثالث من ثالوث الثورة الفرنسية: «الحـــرية، والمساواة، والتآخي»، في مركزه، وذلك كمطلب أخلاقي ومطلب سياسي.

وعلـــى الـــرغم من الصعوبات التي تعترض فرنسا، وبفضل تلك الـــصعوبات ذاتهـــا، مـــن واجبها إعادة بعث طبيعتها الذاتية. ونهاية الخـــصوصية الفرنـــسية قد تكون عبارة عن تقهقر. وفي مقابل ذلك، بتأصل فرنسا في ذاتها، سيكون بإمكانها أن تقترح على أوروبا الترسيمة الكـــبيرة لسياسة الحضارة التي ستشجع، عند كل شعب، التأصل، لا التأصل المنغلق، والعدواني، وإنما التأصل المنفتح والتواصلي.

لا ينبغي علينا التجرد من بعدنا الفرنسي القاري، وإنما علينا دائماً أن نضع ذاتنا في السياق وفي الإطار الشمولي.

التضامن والمؤانسة والتأصل، هي الأوامر الثلاث التي بإمكانها أن تجد انطلاقاً من الآن تعبيراً مجالياً واقتصاديا.

على الصعيد المجالي، يتعلق الأمر بمقاومة عملية تجريد المدن والقرى من طابعها الإنساني.

وعلى الصعيد الاقتصادي، أصبحت الأيكولوجيا سلفاً حيوية ومُدِرّة للربح. وعلى جودة الحياة بدورها أن تصبح حيوية ومُدِرّة للربح. بإمكاننا اليوم محاولة التفكير في حِرَف ووظائف من أجل التقليص من الصحراء المُمَكْنَنة، والصحراء المجردة من المؤانسة، والصحراء القروية. ويمكننا الآن التفكير في تحويل الحواضر الكبرى إلى أحياء، وإعادة إحياء الهِجَر والقُرى.

وعلينا ألا ننسى أن الاتجاهات المضادة (أي القدامة الجديدة، والنزعة الطبيعية الجديدة والنزعة القروية الجديدة)، التي أشرنا إليها سابقاً، واصلت تدريجياً تقدمها وتوسعها. والهجرة الحضرية أخذت تحل محل الهجرة القروية٬ وبدأت الأجيال الحديثة المتشبعة بالبعد الأيكولوجي وبدأ العاطلون في استغلال أراضي زراعية بيولوجية، وشراء محلات تجارية مهجورة، وإقامة ورش حِرَفية. وبترابط مع ذلك، أخذ الطلب على جودة الحياة والرغبة في المؤانسة، إضافة إلى هموم صحية لدى الناس، في توليد طلب على منتجات الحِمْية والذَّوَاقة والصناعة التقليدية، وستواصل الحاجة إلى منتجات غذائية محلية الارتفاع في المدن.

يمكننا من الآن بلورة سياسة إعادة إحياء البوادي بمعية سياسة زراعية جديدة (س. ز. ج.)، تكون في خدمة إنتاج الجودة، وتكون بتلازم مع ذلك في خدمة الصحة العامة.

إن سياسة إعادة إحْيَاء البَوادي ستُشجعُ، بفضل المساعدات والحمايات، الهجرةَ الحضريةَ (الهروب من الضغط والتلوث والضجيج)، كما ستشجع الحفاظَ على التجارات الصغيرة أو استردادها[1]، كما ستنعش عملية إعادة إعمار الهجر والقرى، بما فيها القرى الميتة، وذلك بكيفية سهلة بحيث إن هناك ما يناهز ثلاثمئة ألف مسكن قروي شاغر. وستساعد هذه السياسة على تنمية المآوي القروية والسياحة الفلاحية - الذّواقية التي من شأنها منح المنتجين ما ينقصهم من موارد إضافية. وإعادة إحياء البوادي ستؤدي إلى خلق منتزهات طبيعية، مثل منتزه مونتيسنهو[2] في البرتغال، الذي يسمح لا بحماية نباتات وحيوانات متنوعة فحسب، بل ويسمح كذلك بالإبقاء على قُرى حيث يتم تشجيع الصناعة التقليدية، واستعمال المطحنة المائية، وحيث يُعَاد ترمِيم الضَّيعات القديمة، ويتم تشجيع تربية الخنزير الخالي من الدهن، الذي يتغذّى على البلوط، ويكون مصدر إنتاج شرائح الجونبون[3] والنقانق المفلفلة التي تجذب محبين من مجموع بلاد البرتغال.

---

(1) مثال موجود في جماعة Gandelain في منطقة Orne، حيث إن الجماعة اشترت حانوتاً كان سيقفل من أجل كرائه لشخص آخر انظر جريدة (Ouest-France, 2 juin 1996). (المؤلف)

(2) سيرا دي مونتيسنهو (La Serra de Montesinho) جبل في شمال البرتغال. (المترجم)

(3) شرائح الجونبون Jambon قطع لحم مأخوذة من فخذ أو كتف الخنزير مملحة ومدخنة. (المترجم)

ولا يمكن للسياسة الجديدة للزراعة إلا أن ينعشها الوعي المتزايد بالنتائج الضارة للتصنيع المغالي في الزراعة (حيث تتسرب المبيدات إلى الفواكه والخضر)، والتصنيع المجنون لتربية الخنازير (تلويث الفرش المائية)، والدواجن والأبقار. وقضية جنون البقر، التي ستليها قضايا مشابهة، ستُوَسِّع وستسَرِّع من تنامي ردود الفعل الداعية إلى إقصاء كل أشكال التربية الصناعية للدواجن وفرض معايير الجودة في كل قطاعات الصناعة الغذائية. نعرف اليوم أن جودة اللحم تتعلق بالحالة النفسية للبهيمة لحظة ذبحها: فالضغط يفسدها ويشجع اكتساح الجراثيم الميكروبية لِلَحْم البهيمة. ومن الآن لم يعد من أهداف الباحثين في المعهد الوطني للبحث الزراعي مساعدة المزارعين للزيادة في لإنتاج، وإنما أصبح هدفهم هو مساعدتهم على تحسين جودة ومذاق المنتوجات الموجودة. وينبغي على هيئات المراقبة الفرنسية والأوروبية مَدُّ يدِ المساعدة للتنمية ولانتشار زراعة بيولوجية ستقصي الوسائل الكيماوية لصالح الوسائل البيولوجية. وعلى هندسة البيولوجيا ذاتها أن تسمح للنباتات المزروعة بالاستغناء عن الأسمدة الأزوتية وذلك بجلب الأزوت مباشرة من الهواء. يتعلق الأمر بخلق وتنمية سريعة لتكنولوجيا بيئية، لن تكون صالحة لفرنسا فحسب، بل صالحة كذلك لكل الأمم.

إن قضية جنون البقر تدفعنا إلى توخي الجودة والبساطة. وشعار سياسة الحضارة هو: **أقل لكن أفضل**. وهذا الشعار يسير ضد التيار الذي تشكله هذه الآلة الهائلة للاستهلاك التي يحركها منطق الربح. لكن المستهلك محكوم عليه بالتربية الذاتية والتقويم الذاتي والتنظيم الذاتي، ومن واجب سياسة الحضارة أن تحثه على ذلك... وهناك سلفاً منشورات في كل مجالات الاستهلاك مثل **ماذا**

**ينبغي أن نختار**؟ والتي تفحص فحصاً نقدياً المنتوجات من وجهة نظر الجــودة. وعلى سياسة الحضارة أيضاً أن تحث وتخلق الوعي وتنمِّي أخلاقــية وسياسة الاستهلاك، والتي توجد من الآن في حالة مخاض داخل المجتمع المدني.

# الوظيفة الجديدة

مــــاذا يعــــني العمـــــل ضد البطالة وضد الإقصاء من دون سياسة الحــــضارة؟ ألا يمكننا تناول هذه المشاكل من الطرف الآخر وتأسيس موقفـــنا **المعارض** (البطالة، الإقصاء) على **موقف دفاعي**: **الدفاع عن** إعادة إحياء نسيجنا الإنساني، والاجتماعي والثقافي، **الدفاع عن** جودة الحياة في داخل مجتمعنا، **الدفاع عن** سياسة الحضارة.

تصبح سياسة الحضارة من تلقاء ذاتها سياسة من أجل الوظيفة. وأمام التقلـــيص المستمر والحتمي للوظائف في داخل قطاعات خاضعة للمنافسة العالمية، بإمكاننا التفكير في خلق وظائف ضرورية لسياسة الحضارة.

## وظائف قروية ووظائف بيئية

- إعادة إحياء الهجر الصغيرة والمتوسطة والتعاونيات من خلال تنمية منـــتوجات ذات جودة يطلق عليها اسم: «بيولوجية»، حيث يتم إقصاء الأسمدة والمُبيدات الكيماوية كما يتم إقصاء التربية الصناعية للماشية؛
- اســـتعمال الهندســـة الجينـــية من أجل جعل النباتات تقاوم الظروف المناخية أو الجيولوجية غير الملائمة؛ لكن شريطة أن تؤسس تروستات هائلة لتفرض، مثل مؤسسة مونيسنت[1]، منتجاتها المعدلة جينياً.

(1) Monisant شـــركة مقــرها فـــي سان لويس بالولايات المتحدة الأميركية متخصصة في إنتاج وتسويق الحبوب المعدلة جينياً. وأصبحت محط اتهامات لوجود شكوك في إنتاجها لحبوب مضرة بالصحة والمحيط البيئي. (المترجم)

- تنمية زراعة حبوبية موجهة بشكل خاص لحاجيات السكان الذين يـــرزحون تحـــت وطئ مجاعات بسبب حروب أو كوارث طبيعية (الأمـــر الـــذي يفـــيد خلـــق رصيد أوروبـــي خاص للتضامن الكوكبـــي).
- المساهمة في جعل الخبازين وأصحاب البقالة والحرفيين يعودون إلى القرى.
- المـــساهمة في إنـــشاء وتكاثر العمل - عن بعد - منح قطع أرضية للسِّباخة[1] للمتقاعدين أو للعاملين عن بعد والعائدين للاستقرار في البادية.
- تنمية مؤسسات تقدم مساعدة منـــزلية في المجال القروي.
- إنشاء حِرَفٍ تهدف إلى حماية البيئة، وصيانة المجالات الطبيعية.

## وظائف التضامن

هـــناك حاجة ماسة لمهن المساعدة في عالم متشرذم من العزلات وعـــالم تقني - بيروقراطي، يتعذر إدراكه أو غير قابل للفهم، والذي لا يسمح تباطؤه بتقديم جواب عن مشاكله أو بحل مباشر لها.

- مَناصب شغل لمستشارين - مساعدين من أجل حل مشاكل إدارية ومشاكل الحياة اليومية؛
- مهن لُمساعَدة الطفولة المبكرة والأمهات والمعطوبين والمنعزلين ومن بـــين هـــذه الخدمات تقديم مساعدة في المنـــزل، وتقديم مساعدة

(1) أي الـــزراعة التـــي تنتج الخضراوات والبقول وبعض الفواكه بشكل مكثف واحترافـــي، قصد تحصيل ربح كبير. والسباخة هي ترجمة للكلمة الفرنسية maraîchage التـــي ظهـــرت في القرن التاسع عشر وهي مشتقة من كلمة marais وهي تفيد كلمة مستنقع وسبخة. (المترجم)

خاصـــة بالـــسيارة (تـــصليح السيارة في عين المكان)، والمساعدة **الخاصة بالشغل** (مشاكل مالية)، والمساعدة القانونية بما فيها الحق في الشغل؛

- وأخـــيراً، نحـــن في حاجة إلى سياسة عامة لمهن التضامن من أجل الأشـــخاص المسنِّين. ودور المُسنِّين هي عبارة عن مراكز احتضار، وهي في بعض الأَحيان دور راقية، لكنها في أغلب الأحيان قذرة، وهي كلها مكتظة. وفي بعض الدور ترزح الممرضات والمساعدات تحـــت وطـــأة العمل الزائد، ويتحول المسنُّون إلى بضائع، قبل أن يـــصبحوا عـــبارة عن «أجسام فاسدة». ويبدو أننا في حاجة إلى ثلاثمئة ألف شخص للعناية بالمسنِّين.

## وظائف خاصة بالمؤانسة

- أن تخلـــق أو تُعمّمَ في داخل دور الثقافة أو في مؤسسات عمومية، مراكـــزٌ يكون دورها هو الاستجابة للأمان والطمأنينة الداخلية، والتي تقدم أشكال متنوعة من العلاجات النفسية، من قبيل العلاج بالموسيقى، والعلاج برياضة اليوغا، ... إلخ.
- مـــساعدة بـــناء مقاهـــي - أجواق غناء يشارك فيها الجمهور[1] وحمامات تركية، وحمامات بخارية[2]؛ - توسيع دور الثقافة لجعلها مجـــالات - صالات لنقاش مشاكل محلية وعمومية، وبناء مراكز مُدامِيّة - ذوَاقِيّة.

(1) الإحالـــة هنا إلى الكلمة الفرنسية Karaoké وهي كلمة مركبة جزؤها الأول kara مأخـــوذة مـــن اللغة اليابانية وتفيد (الفراغ)، وجزؤها الثاني okéوتفيد الأوركـــسترا، الأمر الذي يعني أن المغني ينشد من دون وجود الموسيقيين الذين يعوضون بآلة إلكترونية مثل قارئة الأقراص المدمجة. (المترجم)

(2) Saunas.

- مهن لإضفاء الطابع الإنساني على وسائل النقل العمومية، وبالخصوص في القطارات التابعة للشركة الوطنية الفرنسية للسكك الحديدية(1)، حيث إن العقلنة التقنية - البيروقراطية قد وصلت إلى ذروة الجنون بمعية تحفتها التي أطلق عليها اسم سقراط(2).

## الدولة والمبادرة الخصوصية: التكامل

هناك، كما أشرنا إلى ذلك في السابق، تزايد المبادرات المتناثرة. كيف يمكن الربط بينها؟ ألا يمكن اقتراح «اجتماعات عمومية للحضارة»، حيث سيجتمع كل أولئك الذين لديهم تجارب وأفكار يكون هدفها هو إحياء النسيج الديمقراطي والاجتماعي والثقافي، ... إلخ. إن المبادرة الحقيقية التواصلية والنضالية تعود إلى الجمعيات وإلى الأفراد. وعلى الدولة أن تكون حاضرة من أجل تقديم الوسائل والأطر، لا من أجل لعب دور توجيهيّ.

ألا يمكننا إحداث مبادرة ذات استقلال ذاتي ستسمح بالانتقال من شتات تجارب متعددة منذ عشر سنوات إلى حركة منظمة تأخذ على عاتقها القيام بدور إعلامي، وتبادلي وتعمل على خلق شبكات للتواصل، كما تعمل على التفكير في هذه التجارب والعمل على تقييمها قصد استخراج «أسئلة الحضارة» الموجودة في كل تجربة؟

هناك إمكانية إحداث سياسة تعمل على خلق آليات الجذب والإحداث والتحفيز، لكنها تترك المكان للمبادرة الفردية. والخيار بين

(1) SNCF أي الشركية الوطنية الفرنسية للسكك الحديدية. (المترجم)

(2) هو نظام معلوماتي استعملته الشركة الوطنية للسكك الحديدية في فرنسا سنة 1993. والغرض منه هو القيام بتدبير عمليات حجز مقاعد السفر وتحديد ثمنها حسب مبدأ الطلب. وقد تم التخلي عنه سنة 2003 ليتم تعويضه بنظام آخر يحمل اسم فسيفساء. (المترجم)

السوق/المراقبة العمومية، التنافس/التضامن لا يفرض ذاته إلاّ على أولئك الـــذين يـــبدون غـــير قادرين على تصور الخاصية التكاملية للأمرين المتـــنازعين. إن السياسة التي تفرض ذاهّا اليوم هي تلك التي تكف عن إحـــداث تعـــارض بين المبادرة الحرة واقتصاد موجّه بوضوح مفرط، وبكيفـــية بيروقـــراطية وخاضع للتصميم. «إن الأمر المهم هو إحداث تكامـــل حقيقي بين الفعالية الاقتصادية التي أقرها السوق والحاجة إلى رؤية بعيدة المدى لا يقدمها السوق»[1].

إن الفكـــرة الجديدة لسياسة الحضارة هي العمل بحيث إن قوة القطاع العمومي تقوم بخلق البنيات كي تتمكن الإرادات الخَيِّرة، التي لا تـــتمكن من التعبير عن ذاهّا والغرائز الخلاقة المتضامنة، من إيجاد توظـــيفٍ تـــامّ. على هذا القطاع العمومي أن يقوم بعملية التحفيز والتشجيع وتقديم الوسائل من أجل الانطلاق. ويمكن لكل الوظائف الجديـــدة والوظائف البيئية، مثل مهن التضامن ومهن المؤانسة، أن تـــستفيد مـــن عملية التحفيز والتشجيع. وبناء على ذلك نعود من جديـــد إلى مـــسألة الشغل، وهي مسألة سيتم معالجتها انطلاقاً من مشاكل أساسية لمجتمعنا.

---

(1) راشـــلين Rachline، ورد سابقاً، ص 102· مفكر وعالم اقتصاد فرنسي، من مو الـــيد باريـــر 1948 ويـــشغل حالـــياً نائب رئيس مدرسة العلوم السياسية بباريس، من أعماله:

- *Une Economie mondiale* (Hachette Pluriel, 1985), De Zéro à epsilon.
- *économie de la capture* (First, 1991, et Hachette Pluriel, 1994).
- Que l'argent soit-capitalisme et alchimie de l'avenir (Calmann-Lévy, 1993, et Hachette Pluriel, 1995).

*Services publics, économie de marché* (Presses de Sciences Po, 1996). (المؤلف)

ستكون سياسة الحضارة جواباً مباشراً عن البطالة. يقدر السيد جـاك رُوبَان[1] عدد الوظائف في مجال اقتصاد التضامن بمليوني وظيفة. وكيفما كان التقدير الذي نقدمه، فإن سياسة الحضارة بإمكانها إدماج نسبة قوية من العاطلين.

## برنامج جديد للحضارة

ينبغي التفكير في تصميم يتضمن أشغالاً كبرى من أجل جعل كل مراكز المدن ممرات للراجلين مع حزام أول (حول المركز)، وحزام ثان لمواقف السيارات (حول الضاحية)، ومن أجل تعميم التَّرام والحافلات الكهـربائية، وتعميم مسارات خاصة بالدراجات. وقد حققت بعض المـدن المتوسـطة - مثل فريبورغ أون بريسكو[2] أو هايدلبيرغ، في ألمانـيا - هـذه الأشغال. وهي أشغال تفرض ذاتها خصوصاً في المدن الكبرى حيث إنها تتطلب، بطبيعة الحال، استثمارات كبيرة. ومنجزات مثل هذه يمكنها أن تُموَّلَ من قِبَلِ البلديات والجهات والدول، ومن قبل

(1) Jacques Robin طبـيب: فرنسي ولد سنة 1919 وتوفي سنة 2007. انتمى إلى مجموعة العشرة وهي المجموعة التي ضمت مفكرين من أمثال: Henri Atlan, J. Attali, Edgar Morin, Michel Serres. والغـرض مـن هـذه المجمـوعة هو التفكير في قضايا تهم مجالات متنوعة وشاسعة مثل علاقة العـنف بالسياسة، والمشاكل المترتبة على الاقتصاد. من أعمال المفكر جاك روبان:

* *De la croissance économique au développement humain*, avec la collaboration du Groupe des dix, Paris, Ed. du Seuil, 1975.

* *Le Jaillissement des biotechnologies*, ouvrage coordonné par Pierre Darbon et Jacques Robin, Paris, éd. Fayard, 1987.

* Quand le travail quitte la société post-industrielle, 2 vol., Paris, GRIT, 1994. (المترجم)

(2) Fribourg-en-Brisgau.

صندوق أوروبي خاص، مادام هذا التصميم لا يصلح لفرنسا فحسب، وإنما لأوروبا بكاملها.

إن المشكل هو تمويل هذا **البرنامج الجديد**(1) الحضاري، الذي يتطلب نفقات هائلة، لكنه سيسمح، تدريجياً، بتوفيرٍ كبيرٍ للمال. وسيظل هذا التوفير غير مرئي طالما واصلنا حساب فصولٍ الميزانية حساباً مستقلا. لا أحد يتصور أن سياسة جودة الحياة بإمكانها أن تقوم بتقليص تدريجي، في السنوات القادمة، للنفقات الهائلة في مجال الصحة التي تُنفَق لعلاج أمراض التهاب القصبات الهوائية وأمراض الضيقة وأمراض القلب والشرايين والضغط والأرق التي تترتب على ظروف الحياة الحضرية والبطالة وأمراض حضارتنا وعلى نمط التفكير المهيمن الذي يبدو أنه غير قادر على تناول المشاكل العامة ويقود إلى نفقات هائلة، كما تترتب على النظام الصحي ذاته[2]. من الضروري خلق نظام

---

(1) أدت الأزمة العالمية لسنة 1929 في الولايات المتحدة الأميركية إلى ظهور البرنامج الجديد (New Deal) الذي طرحه الرئيس الأميركي روزفلت مع حلول ديموقراطية وأدت الأزمة ذاتها، في ألمانيا، إلى نشوء الوطنية الاشتراكية. وترددت فرنسا بين الفاشية والجبهة الشعبية، وقد دفعها ماضيها الجمهوري إلى القيام بهذا الاختيار الأخير. وليس من المستبعد أن تؤدي أزمة جديدة، أو أزمة من نوع جديد، إلى سقوط فرنسا في حضن حل وطني – سلطوي، في غياب البرنامج الجديد (New Deal) للحضارة. (المؤلف)

(2) وبالفعل، يتضمن التقدم الصحي الهائل في ذاته، وبالخصوص في مجال تراجع وفيات الأطفال، سلبيات. فالمغالاة في التخصص الطبي، وعلاج الأعضاء عوض الأجسام، وعلاج الأجسام عوض الأشخاص، وتراجع دور الطبيب العام، وبَقْرَطَةُ المصالح في مراكز الاستشفاء، وتكاثر الأمراض التي تسببها الآثار السيئة للأدوية أو التي يسببها انتشار العدوى في الوسط الاستشفائي، كل ذلك يساهم بشكل هائل في زيادة نفقات الصحة والحال أن إصلاحاً حقيقياً للمجال الطبي، والذي سيكون في الوقت ذاته إصلاحاً لبنية التفكير في العالم البيولوجي – الطبِّي، سيساهم هو كذلك في تقليص نفقات الصحة. (المؤلف)

حسابي يقوم بحساب النتائج البيئية والصحية لأمراض حضارتنا. وهكذا سيكون بإمكاننا أن تصور أن نفقات الصحة ستتراجع بتوفير الأدوية والعلاجات التي تترتب على عودة جودة الحياة[1].

إصلاح الحضارة وإصلاح الحياة وإصلاح الفكر وإصلاح الأخلاق هي إصلاحات تسير بشكل متوازي لتحديد توفير هائل للمال، توفير سيسمح بالقيام بكل هذه الإصلاحات المترابطة.إن التكاليف الهائلة لأمراض الحضارة ستتقلص كذلك.

وبإمكان هذه التكاليف أن تتزايد إذا استمر الوضع كما هو: وبأي ثمن إنساني وثقافي وحضاري مرعب سنقوم - نحن وليس فقط نحن، وإنما أغلب دول العالم - بأداء تكلفة نمو النمو إذا لم نبلور في أقرب وقت سياسة الحضارة؟

يمكننا في ظل هذه الظروف تصور صندوق نقدي لا للتحديث، وإنما للحضارة، صندوق سيسمح بالشروع في الأشغال الكبرى الضرورية ومساعدة خدمات القرب والمؤانسة والتضامن ومساعدة كل ما من شأنه بعث الحياة في النسيج الاجتماعي.

وليست سياسة الحضارة غير مطابقة للتنمية التقنية - الاقتصادية للشركات المنافسة في السوق العالمي فحسب، بل إنها مكملة لها. إن تنمية تنافسيتها سيقلص حصة العمل الإنساني لصالح المكننة المعلوماتية؛ وفي المقابل، سيتطلب كذلك تنمية خدمات ذات طابع إنساني، الأمر الذي سيؤدي إلى الحفاظ على خدمات ذات مصلحة عامة، لكنها

(1) ينبغي أن نضيف هنا أن سياسة الحضارة المتعلقة بكيفية قيادة السيارة، والتي ستعمل في ذات الوقت من خلال سُبُل التربية على المواطنة، وتقليص السرعة القصوى ومراقبة فعلية للسائقين في الطرق وفي الطرق السيارة، ستساهم في تقليص هائل للمجازر المترتبة على حوادث السير، وبالتالي لنفقات النظام الصحي. (المؤلف)

تتطلب نـــزع الطابع البيروقراطي عن الإدارات (حالة الشركة الوطنية للـــسكك الحديدية). ومن جهة أخرى، يمكن لجزء من أرباح الاقتصاد القائم على المنافسة أن تخصص لتنمية الاقتصاد ذي الطابع الإنساني[1]، ذلك الذي تريد سياسة الحضارة تشجيعه.

## من أجل النموذج الفرنسي ومن أجل أوروبا

قمـــنا هـــنا بصياغة ما يمكن تسميته بسياسة الحضارة في الإطار الفرنسي، لكن الرسالة صالحة لأوروبا وصالحة للعالم.

من غير المعقول أن تحافظ الإنسانية على وتيرة التحطيم الذاتي هاته بمواصلة إفقار التربة، واجتثاث الغابات من الكوكب، وإفراغ المحيطات وبعـــث الغـــازات المؤدية للاحتباس الحراري وإضافة ما يناهز تسعين مليون فرد يكون مصيرهم هو الموت!

يبقـــى أن نعرف ما إذا كان بإمكاننا، في بلد كفرنسا، رفع بعض هـــذه التحديات التي هي من طبيعة كوكبية وحضارية. وما دام لا بلد قـــد أجرى إصلاحاً حقيقياً، فماذا تستطيع فرنسا أن تفعل؟ على الأقل بإمكانها أن تقترح على العالم إصلاحاً. أو أن تقوم بما هو أفضل من ذلك وهو الشروع في الإصلاح.

ويمكـــن للإصـــلاح أن يأتي من فرنسا خصوصاً وأنها هي البلد الأوروبـــــي الذي يعاني أكثر من غيره من العيش التعيس، على الرغم

(1) بـــدأت تظهر هنا وهناك عملية إصلاح للشركات. إن الشركة التي خضعت لإصـــلاح لن تعمل فقط من أجل إنتاج الخيرات وتقديم الخدمات، بل ستعمل مـــن أجل إنتاج ذاتي لجماعة ومن أجل المساهمة في البعد المدني فعبارات مـــثل (شركة ذات سلوك مدني) وشركة ذات مصير مشترك وشركة تشارك فـــي تحمـــل المـــسؤولية، هي عبارات يشير كل واحد منها إلى أحد جوانب إصلاح الشركة التي ستتضمن وستتجاوز عملية البحث عن الربح. (المؤلف)

من ظروف العيش السعيد التي يتمتع بها. ينبغي الحفاظ على الاستثناء الفرنسي، وذلك بالضبط من أجل تقديم النموذج الفرنسي لمجموع العالم. ومع ذلك تفترض تنمية سياسة الحضارة برنامجاً أوروبياً مشتركاً. وسيؤسس فوق ذلك إسهاماً حاسماً في بناء المصير الأوروبي المشترك. ستساهم سياسة الحضارة الأوروبية في الوعي باشتراك المصير، وهو الفرصة الأخيرة لبناء أوروبا.

أما فيما يتعلق بأوروبا، فإننا نعاني من خيار مشئوم بإقامتنا لتعارض بين أوروبا التي تؤسسها أمم وأوروبا المتجاوزة للأمم. على أوروبا أن تكون أوروبا الأمم مع بقائها أوروبا المتجاوزة للأمم. لا وجود لسيادة مطلقة لدولة وطنية لحل مشاكل كوكبية أو قارية، مشاكل تتجاوز كفاءاتها، أي أنها مشاكل ينبغي أن تعالج بشكل مشترك من قبل الأوروبيين، أو أن تعالج على المستوى الإنساني. ينبغي علينا القيام بعملية ضم وليس بتفكيك، خلق تكامل وليس خلق صراعات الحفاظ على الإرث الوطني وتقوية السياسة المحلية وإتمام مصير أوروبي مشترك والتأصل في الأمة - الأرضية.

# سياسة المقاومة،
# والتأسيس الأخلاقي، والأمل

إن هـــدف سياســـة الحضارة هو جودة الحياة، التي مظهرها هو العـــيش الـــسعيد، وليس العيش الرغيد الذي، عندما يختزل في شروطه المادية،ينتج القلق.

لا يتعلق الأمر بطبيعة الحال باختزال السياسة في سياسة الحضارة، بل بإدماج سياسة الحضارة في السياسة· لا يتعلق الأمر باختزال سياسة الحـــضارة في سياســـة الخـــبراء، ولا في سياسة الدولة. تفترض سياسة الحـــضارة بطبيعة الحال اندفاع وانخراط جزء كبير من المواطنين، لكنها بالضبط سياسة قادرة، بفتحها لطريقٍ وأملٍ، على إيقاظ الإرادات الخيرة وتحفيـــز وتشجيع اندفاع المواطنين وانخراطهم.وإعادة تأسيس مثل هذا الإيمـــان سيُحْيِي التَّضامنات التي ستغذي من ذاتها أخلاقيات التضامن. علـــى عملـــيات التخليق والتضامن والبعث الحضاري أن تسير بشكل متواز.

## التضامن والمسؤولية والتخليق هي مفاهيم مترابطة

إن الغيرية المترتبة على التضامن والإحساس بالمسؤولية هي في قلب السلوك الأخلاقي. وكل حد من هذه الحدود يخلق الحد الآخر في إطار حلقـــة منـــتجة، علـــى نقيض الحلقة المفرغة للتشرذم، واللامسؤولية واللاتخليق.

تنتمـــي عملية التخليق لا إلى الخطاب الأخلاقي، وإنما إلى مسار دائـــري حيث إن الحلقة المنتجة تنعشها سياسة التضامن وسياسة جودة الحـــياة وإصـــلاح المنظمات المغالية في التخصص والمُبَقْرَطة[1] وإصلاح الفكر وإرساء أمل وإيمان.

لا يتعلق الأمر بخلق «أخلاقيات جديدة»، وإنما بالسير نحو عودة الأخلاق.

والحاجـــة إلى التخليق لا ينظر إليها رجال السياسة نظرة حسنة. وهـــم يعـــتقدون أنه يكفي النضال ضد الفساد من خلال اتخاذ تدابير تشريعية. ينبغي العمل **من أجل** الحياة الأخلاقية، داخل وبفضل مجموع سياسة الحضارة، سياسة تكون متعددة الأبعاد.

كـــل أخـــلاق وكل سياسة يحتاجان إلى إيمان؛ والإيمان هو أب وابـــن[2] التآخـــي والتشارك، اللذين يغذيان أخلاق المسؤولية. وتملك فرنـــسا إرثاً من الإيمان المدني والجمهوري والمدافع عن الوطن؛ وتملك إرثـــاً عالمياً يمكنه أن يُغذيَ إيماناً أوروبياً ويمكنه أن يُغذيَ بشكل أوسع روح الانـــتماء إلى المـــصير المشترك الذي يكون إنسانياً بوجه خاص. وهذا الإيمان هو الذي يمكن إعادة بعثه وإعادة إحيائه، وهو الذي يغذي أخلاق الانفتاح والتسامح· والحاجة إلى الإيمان، الذي تزعزع على إثر ســـقوط الآمـــال الثورية في عالم أفضل، ستسير إلى المواقف المتعصبة والأصـــوليات والـــشوفينيات وأيديولوجيات عنصرية أخرى. وإذا لم توجد روابط جديدة للتضامن والإيمان والأمل التي على سياسة الحضارة

(1) أي المغالية في الطابع البيروقراطي. (المترجم)

(2) وردت في النص الأصل كلمة أم وبنت، لأن كلمة الإيمان في اللغة الفرنسية مؤنـــثة، فـــي حين أنها في العربية مذكرة، لذلك عوضنا الأم بالأب والبنت بالإبن، تماشيا مع السياق. (المترجم)

تحفيزها، فإن الاندماجات ستتم، بكيفية وحشية، في الحماس القِيَامي للطوائف الدِّينية، والأشكال الأُصُولية للديانات، والعِرْقِيات المُطَهِّرَة والحركات الوطنية التَّمامية و[الأصولية].

تنطلق سياسة الحضارة من التحدِّيات والتهديدات، لكنها تنطلق أيضاً من الحاجيات التي تظهر أمام هذه التحدِّيات وهذه التهديدات.

وهي تستجيب للتباطؤ الضروري من وجهة نظر سوسيولوجية وأيكولوجية وسيكولوجية وثقافية الواجب اتخاذه من قبل السيرورات المسعورة، سيرورات ستقودنا إلى الكوارث، إذا لم يتم التخفيف من سرعتها وتحويلها وتغيير اتجاهها.

وكما أشرنا إلى ذلك في موضع آخر التهديد يكبر:

«إن المعطيات والدراسات تؤكد بوضوح متزايد أن هناك ارتفاعاً شاملاً لدرجة الحرارة خلال العقدين الأخيرين[1]، وأن ارتفاع الحرارة يتسارع، وأن أسباب هذا الارتفاع الحراري تعود إلى انبعاثات الغازات، وخاصة غاز الكربون والميثان[2]، اللذين يشكلان منتجات مباشرة للتنمية الملتهمة للطاقة والمبالغة في الإنتاج. ومادامت انبعاثات

(1) انظر مؤتمر الأمم المتحدة بصدد التحول المناخي المنعقد في جنيف، في يوليو 1996، حيث كشفت امرأة من سكان شمال كندا نُحُول الجليد القُطبي، وفي الشهر السابق على ذلك بينت دراسة علمية للمنطقة ذاتها أن أرضية الجهات الدائمة التجمد (permafrost) قد تراجعت بمئة كيلومترات وأن عمقها قد تناقص. وحسب المجموعة البين - حكومية لدراسة تطور المناخ (GIEC)، قد يرتفع متوسط حرارة الكوكب بدرجة أو ثلاث درجات (المؤلف)

(2) غاز الميثان Méthane، غاز موجود بشكل طبيعي في الطبيعة تنتجه الكائنات الحية. يستعمل غاز الميثان في مادة حارقة، كما يستعمل في صنع الثلاجات. ويعتبر من أهم الغازات التي تؤدي إلى الانحباس الحراري. (المترجم)

الغـــاز تتزايد في أغلب الدول الصناعية (عشرة في المئة بالنسبة لأميركا، وإحـــدى عـــشر في المئة بالنسبة لفرنسا) وفي البلدان السائرة في طريق التـــصنيع، وبالخصوص الدول الآسيوية، فيبدو بشكل متزايد أن التنمية أصـــبحت لا تـــؤدي إلى توليد الكوارث فحسب، بل إنها أصبحت لا تطـــاق. والـــتدابير العاجلة معروفة جيداً، وهي تطابق بشكل دقيق ما نسميه سياسة الحضارة. ويدفعنا عددٌ من الإنذارات تتعلق بالتغذية إلى تعويض الأكثر بالأفضل، والكم بالكيف، لكن ينبغي الذهاب إلى أبعد من ذلك: ينبغي تثوير نمط حياتنا ونمط إنتاجنا ونمط استهلاكنا، وذلك في الوقت ذاته من أجل الاستمرار في البقاء ومن أجل العيش الأفضل. والكيفـــية الوحيدة لتقليص المسار الملتهم للطاقة والمهدِّم لها وإيقافه هو تعويض الكم بالكيف، والأفضل بالأقل».

لقـــد أشـــرنا سابقاً إلى بعض التيارات - المضادة المؤيدة لظهور سياسة الحضارة. وهكذا فبإمكاننا التفكير في:

- أن التـــيار المضاد ذي النـــزعة البيئية يتسع في الوقت نفسه الذي تزداد فيه التنمية التقنية والصناعة التي تفسد المحيط الحيوي.
- أن التيار المضاد لمنطق الغزو الآلي الصناعي سيشجع طموحا متزايداً للمؤانسة.
- أن تياراً مضاداً للنـــزعة الاستهلاكية سيتطور متخذاً جانبين: من جهة، البحث عن **استهلاك تدريجي**[1] (المولد لقوة الحياة والنشوة

(1) عـــبارة الاستهلاك التدريجي Consumation تدل على وجود ضياع وربح نحـــصل علـــيه من جراء هذا الضياع ذاته وبهذا المعنى لا يعود الاستهلاك أمراً سلبياً، إذ إنه يؤدي إلى التلاحم الاجتماعي، مثلا طقوس ذبح الأضحية تهـــدف بالقـــضاء علـــى بهـــيمة إلـــى تولـــيد التآخي والتلاحم الاجتماعي الضروريين. (المترجم)

واللعب والاحتفال)، ومن جهة أخرى، البحث عن اعتدال وقناعة وبساطة في إطار الجودة.

- أن تطور الرأسمالية سيؤدي من جديد إلى تطور حركة مضادة للرأسمالية سيكون بإمكانها أن تأخذ صورة تراجع دور المال والربح.
- أن الطموحات التي غذت الشيوعية والاشتراكية ستكون دائماً في حالة بعث جديد ويمكنها أن تأخذ صورة وعي مدني وتضامني ومسؤول جديد.
- أن تياراً مضاداً لهيجان العنف والكراهية سيتشكل في إطار أخلاقيات تهدف إلى تهدئة النفوس والأذهان.
- أن التيار المضاد الذي يتمتع، منذ الآن، بقوة شديدة المناهضة للنمط الحضاري سيتحول إلى عملية تأصل متعددة وقوية (ويكمن المشكل في معرفة ما إذا كانت ستتضمن تأصلا في الأرض - الوطن أو في مجرد انغلاق على النزعات الوطنية أو العرقية أو الدينية).

وأخيراً، إننا نعرف أن التعميق الذي أصبح يطال الأزمات أو الاقتراب البيِّن للكوارث بإمكانهما تحفيز الوعي واتخاذ قرارات مُخلِّصة. ولا تشكل الكوارث التي عاشها القرن العشرون من حادثة تشيرنوبيل إلى حادثة جنون البقر، إلا بداية الأزمات التي سنكتشف عاجلاً أو آجلاً أسبابَها وأصولَها الحضارية· وستصبح سياسة الحضارة عندئذ - بشكل واضح - السبيل الوحيد من أجل تحجيم الآلة ذات الطابع الإنتاجي/والمستهلكة للطاقة، وتعويض الطاقات المُلوِّثة بطاقات غير ملوثة، والانتقال من الكمي إلى الكيفي، وإنتاج واستهلاك الأقل لكن من أجل الأفضل.

إن سياسة الحضارة رسالة تكتسب ضرورة وذات بعد تاريخي، وعليها أن تتبلور على مدى عقد من الزمن وأن تستمر فيما وراء ذلك. وهي تشير لا إلى نموذج ولا إلى «مشروع» الحضارة، وإنما تشير إلى سبيل.

وهي تدعو في آن واحد إلى إعادة غزو الحاضر، وإعادة إحياء الماضي، وإعادة بناء المستقبل.

وهي تسمح بإعادة إحياء أمل ملموس. وسياسة المقاومة هذه للوحشية الجديدة تحمل في ذاتها مبدأ الأمل.

والعنصر الحيوي الذي نحن جميعاً - والسياسة كذلك - في حاجة إليه هو الأمل. إن بعث الأمل ليس بعثاً **للوعد الكبير**، إنه بعث إمكانية ما. ولن يتم القضاء على اللايقين والقلق، لكن ما دمنا لا نتحمَّلُ اللايقين والقلق إلا أثناء المشاركة والحب والتآخي والفعل، فإن سياسة الحضارة تحمل في ذاتها الاندفاع والمشاركة والأمل.

إدغار موران

# نحو سياسة حضارية

يعالج الكتاب مشاكل نصادفها في صميم حياتنا اليومية، حيث يتعلق الأمر بالاختلال والنواقص التي تعاني منها حضارتنا الإنسانية. وبالتالي كل ما يخص حاجياتنا وتطلعاتنا التي لم تعد مادية فحسب. لذا لا بدّ من إعادة إحياء حياتنا الاجتماعية، السياسية والفردية.

وحيث تشهد القرى، والأحياء وجميع أنحاء البلاد نهوض حركات إحيائية معزولة ومتفرقة، يأتي هذا الكتاب لا ليقترح برنامجاً أو مشروعاً مجتمعياً، بل لإنارة طريق. ولكي يأخذ هذا النص معناه، فلا بدّ من إصلاح ثقافي وتجديد سياسي، فكل نظام لا يملك داخله وسائل مقاومة هذه المشاكل ومعالجتها محكوم عليه بالتراجع والتقهقر والموت، تلك المشاكل التي لا يمكن مقاومتها إلاّ بتجاوز الذات وإقرار طريق التحول.

**إدغار موران**

ولد إدغار موران عام 1921 وهو أحد الفلاسفة وعلماء الاجتماع في فرنسا ومدير فخري للأبحاث بالمركز الوطني للأبحاث العلمية، وصاحب نظرية التعقيد la complexité واستراتيجية الفكر المركّب pensée la complexe وأحد المنظِّرين للمقاربة العِبْرمناهجية la transdisciplinarité ويعتبر من أهم المحللين والمنظرين للفكر المعاصر و لتاريخ الثقافة الأوروبية والعالمية. حاز موران على عدة جوائز من بينها دكتوراه فخرية في العديد من جامعات دول العالم وجائزة شارل فايون للكتاب.

**أحمد العلمي**

أستاذ الفلسفة ورئيس قسمها في جامعة ابن طفيل في مدينة قنيطرة بالمغرب وعضو هيئة تحرير مجلة مدارات فلسفية، وله العديد من المؤلفات باللغتين العربية والفرنسية في مجال اختصاصه.

وفوق كل ذي علم عليم

وزارة التعليم العالي
الملحقية الثقافية السعودية في فرنسا

ISBN 978-9953-87-800-3

9 789953 878003